المشرق

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخية ادبية عمرانية للاب لويس شيخو اليسوعي

استفتاء

كتب الينا احد اصحابنا من مصر ما نصّهُ:

بينما كنت ساترًا في شارع الفجالة مساء الاحد الواقع في ١ آب المنصرم من السنة الجارية اذ سمعت رجلًا في منتصف العمر من ورائي يدعوني باسمي وهو يُسرع في مشيهِ ليدركني فعانت مني التفاتةً فاذا هو شخصٌ اجتمعتُ بهِ في بعض النوادي لكنّني اجهل اسمهُ فنظرتهُ ريثما اقترب مني وحيّاني بالسلام ثم جعل يسألني: «الستَ فلان الفلاني». فقلتُ: «بلى هو». قال: «لعلّك تقصد يولاق». قلتُ: «نعم». قال: «اذن ارافقك». ثم اندفع في الكلام ودار بيننا الحديث الى ان وصلنا الى قرب بناء مرتفع على طرف بعض الاحياء. فقال: «أتعلم ما هذه الدار». قلتُ: «لا وحياتك» قال: «هذا نادي الفرمسون نجتمع فيهِ مرّةً في الاسبوع. أو لستَ من الماسون؟». قلتُ: «اني اجهل امر هذه الشيعة ولا غرو لانها مستترة وراء استار الاجتماعات السرّية لا يطّلع على حقيقتها الّا من دوّن اسمهُ في سجلّاتها». قال: «انا من المتقدّمين فيها فانبئك بشأنها. هي الفئة الشريفة التي اتّخذت لها من المبادئ اسماها ومن الغايات ارضاها. عمادها الفضيلة وغايتها الكمال هي مصدر التمدّن والعلم ونصيرة العدل بين الناس لا تتعرّض لهم في شيءٍ من دينهم ولا تتداخل في الامور السياسية (١)» قال

(١) راجع تاريخ الماسونية العام لجرجي افندي زيدان ص ١

هذا وزاد عليه اشياء كثيرة الى ان ختم كلامهُ بقوله: « افلستَ ترضى ان تنتظم في سلك هذه الجمعيَّة بعد وصفي لها كما رأيت ». قلتُ: « انَّ لي اصحاباً اتَّخذتهم لي في امور رشادًا وفي شبهاتي قرَّادًا فدعني اطلب مشورتهم حتى اذا وقفتُ على حقيقة الحال اجبت الى دعائك والقيتُ بزمام امري الى ايدي رُصفائك ». ثم اقرأتهُ السلام وانا افكِّر في صيغة مدَّعاه. وما قلتُ راجعاً الى داري حتى اسرعتُ الى رقم هذه الاسطر لاستفتيكم في شأن هذه القضيَّة واطلب من لطفكم ان تجيبوا على سؤالنا بلسان مشرقكم المنير

مصر في ١٧ آب

جواب المشرق

(قلنا) انَّ وصف الماسونيَّة الذي نقلهُ مكاتبنا عن لسان احد اعضاء هذه الشيعة فترة كثيرًا ما حاول الماسون ان يستتروا وراءها في بلادنا ظنًّا منهم انهم يصطادون بذلك القوم الاغرار. الا انَّ العاقل لا يقدم على امر قبل ان يدرك حقيقتهُ ويأمن عثرتهُ. قال الحاجّ محمَّد علي الشامي العاملي في رسالة وسمها بكشف الظنون عن حال الفرمسون واثبتها في كتابه سوق المادن سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٨٣م): « انَّ دفع الضرر الاظنون واجب عند العقلاء. فاذا وجدتَ مثلًا في طريقك وادياً وأخبرك مخبر انَّ فيه سباعاً مؤذية وتلك مناداً عن ارتقاءك في سفح او سلوك طريق اخرى فانهُ يجب عليك العدول عن الوادي الى السفح او الطريق الاخرى... وهذا يصدق في حق الماسون ». فلا يكفي اذن ان نركن الى قول بعض اصحاب الغايات الذين تورَّطوا في ردغة هذه المصابات السرِّية فيموِّهون الكلام ويختلقون الكذب ليخدعوا السذَّج لاسيما وقد نبَّهنا الربّ على مثل هؤلاء بقوله: « انهم يأتونكم بثلابيب الحملان وهم في الداخل من الذئاب الخاطفة » بيد ان المسيح لذكرهِ المجد وضع لنا قاعدةً تعمُّ لمعرفة المارقين اذ قال: ومن « اثمارهم تعرفونهم »

ولكن قبل ان نستطعم تلك الثمار الجنيَّة لا بُدَّ من البحث في بعض الامور التي نقدِّمها على مقالتنا لتكون بمثابة التمهيد لكلامنا فنتتبَّع اصول تلك الشجرة والتربة التي نبتت فيها وامتداد جذورها وتفرُّع اغصانها. ونحن لا نستند في ايضاح كل ذلك

الّا الى اوثق المصادر وخصوصاً الى اقوال الماسونيين انفسهم اذ كان اهل البيت ادرى بما فيه. وان قال قائل: كيف تستطيع ان تعرف اسراراً يُقسم الماسون بالحرّجات انهم لا يكشفونها لاحد ويُعاقبون على كشفها اشدّ العقوبات. أجبنا مع السيّد المسيح ان ليس خفيٌّ الّا سيظهر ولاسيما ان تلك الاسرار لم تنحصر في بعض الافراد فيشترك فيها اشخاص غير الحريصين على حفظها فيصح المثل السائر: كل سر جاوز الاثنين شاع. والماسونيّة في ايامنا نشرات وتقارير وجرائد يطبعونها لذويهم فهما ازداد حرصهم على حصرها تبلغ بالرغم منهم الى ايدي الذين يهتكون حرمتها ويعلنون باسرارها. كفانا دليلاً على قولنا الجريدة التي تظهر في باريس منذ ثلاث سنوات واسمها خرق الحجاب عن الماسونيّة (La Franc-Maçonnerie démasquée) وهي تروي في كل عدد من اعدادها ما تستخرجهُ من دفاتر المحافل الماسونيّة ومن اوراقها الرسميّة ونشراتها الخاصّة فالى مثل هذه الاسانيد نلتجئ في كلامنا الآتي وعلى الله التكل

تاريخ الماسونيّة

ليس شيءٌ يصف الماسونيّة وصفاً اظرف ويميط القناع عن خزعبلاتها بنوع ألطف من نقل ما يسطرّهُ انصارها في تاريخ شيعتهم وتعريف اصولها. فلا بُدَّ لنا من تفكيه القرّاء بشيءٍ من هذه الاساطير التي تغلب على احاديث خرافة ويجدر بها ان تُلحق باقاصيص الزير وبني هلال وعنتر. وها نحن نستمدُّ ذلك من بعض تآليف الماسون في بلادنا. قال الاخ شاهين مكاريوس رئيس محفل اللطائف في كتابه «الآداب الماسونيّة» الذي نال جزاء عنهُ «النيشان الماسوني العالي من المجلس الاكبر المصري... وتقرّر ابحاث منشور لكافة المحافل الوطنيّة المصريّة بوجوب اقتنائه» (ص ١):

«الماسونيّة اكبر الجمعيّات واغناها واشهرها واقدمها ايضاً. وقد ذهب القوم في قدميّتها مذاهب شتى فبعضهم قال انها أُنشئت في هيكل سليمان وبعضهم ردّها الى كهنة المصريين وآخرون الى كهنة الهنود ويزعم غيرهم انَّ مؤسسها المسيح لا يزال مجهولاً ولا يبعد عن التصديق ان العالم لم يخلُ من جمعيّة سريّة منذ نشأته...»

الى ان قال (ص ٣):

«والماسونيّة التي نحن في صددها مضى عليها في عالمنا هذا اجيال عديدة قطعت في غضونها مفاوز

الحياة وقلّواتها وجبالها وسهولها وانهارها وبحورها حتى صارت الى ما هي عليه الآن ...»

وبعد ذكر بعض الجمعيّات السرّيّة العمليّة والرمزيّة اردف بما نصُّهُ (ص ١)

« ويغلب على الظن انّ منشأ هذه الجمعيّة كان في رومية سنة ١٧٥ قبل المسيح »

وكرّر هذا القول ثانية (ص ٥):

« ولكنّنا نعلم انّ الطريقة الحاليّة نشأت في رومية كما تقدّم »

فلنسمعنّ الآن اقوال اخر آخر يعدُّهُ الماسون من مشاهير رجالهم وهو الاخ جرجي زيدان وقد افادنا في « تاريخ الماسونيّة العام » انّ كتابهُ مبنيّ على اساس الحق وقد راجع لمعرفة الصواب شيوخ الماسونيّة (ص ج) «كالاخ المحترم نقولا حجي رئيس محفل لبنان سابقاً والاخ المحترم وليم اسعد خيّاط رئيس محفل فلسطين ... والاخ الكلي الاحترام سوليتوري افتوري زولا رئيس اعظم المحافل المصريّة سابقاً» وراجع غير ذلك من التواريخ التي عدّدها لاخوته الماسون فما احرى به ان يكون مؤرخاً صادقاً. فاسمع رعاك الله ما قال في تاريخ الماسونيّة وقد اختصر اقوال رصفائه قبل ابدائه عن رأيه الخاصّ قال (ص ٥):

« لمؤرخين في منشأ هذه الجمعيّة اقوال متضاربة. فمن قائل بحداثتها فهي على قوله لم تدرك ما وراء القرن الثامن عشر بعد الميلاد ومنهم من سار بها الى ما وراء ذلك فقال انّها نشأت من جمعيّة الصليب الورديّ التي تأسّست سنة ١٦١٦ ب م. ومنهم من ارجعها الى الحروب الصليبيّة وآخرون تتبّعوها الى ايام اليونان في الجيل الثامن قبل الميلاد ومنهم من قال انّها نشأت في هيكل سليمان وفئة تقول انّ منشأ هذه الجمعيّة اقدم من ذلك كثيراً فارجعوها الى الكهنة المصرية والهندية وغيرهما. وبالغ آخرون في انّ مؤسسها آدم والابلغ من ذلك قول بعضهم انّ الله سبحانهُ وتعالى أسّسها في جنة عدن وانّ الجنة كانت اوّل محفل ماسوني ورئيس الملائكة (اقرأ: سطنائيل) كان اوّل استاذ اعظم فيه

على انّ جناب منشئ الهلال يعدُّ هذه الاقوال وهميّة ويعلّل الامر « بطموس التاريخ الماسوني قبل القرون المتأخرة .. واخفاء اوراقها » لكنّهُ ينعش رجاءنا بقوله انّ الاخوة الماسون (ص ٦) «نهضوا مؤخّراً الى جمع تاريخ هذه الجمعية فعثروا على اوراق قديمة العهد امكنهم الاستدلال منها» على اخبارها. لا بل يفيدنا على أنّهُ اطّلع على ما يطّلع غيرهُ عليه ثم خاض في تفاصيل ذلك التاريخ خوض رجل يتقاذفهُ تيّار البحر العجّاج فلا يدري كيف يتخلّص من عبابه وينجو من غمراته. فلو راجعت كلامهُ وتمنّت

في رواياته تراكمت على عقلك الظلمات فلا تعلم أأنت في عالم الاحياء او في عالم الترهات فينتقل بك الكاتب في صفحات قليلة من خرافات الرومان الى اسرار ديانات اليونان فعابد المصريين فتواريخ اليهود فاخبار النصارى الاوّلين وهو يخلط في كل ذلك شيئاً طفيفاً من التاريخ لئلّا يحس القرّاء بسحره لعقولهم حتى اذا بلغ القرن السابع للمسيح اتى بالعجائب والغرائب فيتكلّم عن جماعة البنائين ويجعل المنتظمين فيها ماسونًا احرارًا تحت رئاسة الاكليرس وهم على زعمه اجداد الماسونية الحالية كانوا يأتون من الاعمال الهندسية والصناعية ما يستحقّ لهم شكر الشعوب المخلّد بل يحبّب للقرّاء تلك القرون الوسطى التي يسبّها الماسون الحاليّون ويدعونها قرون الهمجيّة واعصار الظلمات. وقس على هذه الخلاصة بقيّة ذلك التاريخ الذي نتفّ منشئ البشير عند صدوره بكتاب وهميّ شبيه بقصص الف ليلة وليلة

وقد قدّم الاخ الماسوني ايليا الحاجّ على كتابه « الخلاصة الماسونيّة » نبذة تاريخية في اصل الماسون تليق بالنبذتين السابقتين قال (ص ٣):

« قال بعضهم: ان مبدأ الماسونية منذ القدم يوم كوّن المهندس الاعظم السموات والارض وخلق ادم وهو ابو الماسون واعيًا في صدره العلوم والفنون بارعًا في علم الهندسة . . . . وانتقلت هذه الصناعة الى مصر بواسطة سمرايم احد احفاد حام وكان ذلك بعد تبلبل الألسنة عند بناء برج بابل بستّ سنوات . . . وقال احد الكتّاب: انّ الماسون قوم من البيثاكوراسيين (كذا) تألفوا جمعيّة وصلت الى ما هي عليه الآن من نضضة وعلوّ الشأن. وقال آخر انّ الماسون جماعة من اليسوعيين الانكليز (كذا) في بريطانيا »

ولعلّ الكاتب في طبعة ثانية يذكر انتظام شخصنا الحقير في الماسونيّة اذ كنّا في انكلترّة نتردّد الى ادبرة الاباء اليسوعيين الانكليز. ومن عجيب قوله بعد هذا ان اليسوعيين يضطهدون الماسون منذ ظهورهم قال (ص ٥):

« وكان اليسوعيّون بعد ظهورهم الى عالم الوجود يميلون الى ابناء الحرّية لمهارتهم في الصنائع بنية بناء كنائسهم ومعابدهم وصوامعهم غاية في الابداع وجلّ مقصدهم ان يلاشوا الماسون عن وجه الارض كما كان يفعل الملك فرعون بيني اسرائيل ايام كانوا يعملون بالآجر » !!!

ثم جرى في هذا الميدان القسيح تارةً يجعل الماسون من بُناة هيكل سليمان وتارةً يجعلهم من نخبة صنّعة مصر والعجم والهند واليونان الى ان يبلغ الى قوله (ص ١٠):

« ويقول الماسون في انكلترّة ان القديس البان انشأ الماسونية في بريطانية العظمى عام ٩٣٦

واخذوا براءة من الملك تسوّغ لهم اجراء اعمالهم واجتماعاتهم السرّية في مدينة يورك حيث أنشئ المحفل الاعظم لانكلترّة »

وان سألت الكاتب البارع من هو هـذا القديس البان منشئ الماسونية في عام ٩٢٦ اجابك في الحاشية :

« البان احد الثلاثة الذين ماتوا شهداء بانكلترّة عام ٣٨٦ ايام اضطهاد دقلديانوس » (كذا)

ويتنج من ثمّ انّ القديس البان نزل من السماء بعد استشهاده بنحو ٦٤٠ سنة لينشئ الماسونية في وطنه

فحسبك ايها القارئ بالاسطر السابقة دليلًا على صدق الماسون في تسطير تاريخهم . فليت شعري ايجوز لنا بعد ذلك ان نسلّم بما يخرق فيه الماسون اذ ينسبون الى جمعيتهم كلّ فضيلة وكمال دون إعمال الروية فيه . لا لعمري فانّ الرجل اذا عُرف بالكذب مرّةً لا يُقبل قولهُ الّا بعد البيّنات الواضحة والادلّة النيّرة

*

فان كانت الشيعة الماسونية كاذبةً في تعريف اصلهـا وكانت اقوالها متضاربةً في بيان تاريخها تُرى ما هو تاريخها الصحيح وهل يُعرف منشئها ؟

ان الجواب على هذا السؤال يستدعي بعض الملحوظات قبل ان نكشف القناع عن محيّا الحقيقة فنقول :

اوّلًا لا يُنكر انهُ شاعت بين الوثنيين في القرون السابقة لعهـد المسيح عدّة جمعيّات سرّية كانت تحجب اسرارها الفاسدة تحت ستر الظلمـة فتدّعي ظاهرًا ترقية العلوم او التقرّب من الآلهة وهي في الواقع موارد خلاعة وتهتّك . وكان اسوأها فعـلًا الجمعيّات المستّرة وراء حجاب الدين كاسرار أفوسيس (Eleusis) واسرار كيبالة (Cybèle) واسرار ادونيس (تموز) والعلماء الذين دقّقوا البحث فيها تحقّقوا ما فشا في مشاميها من سوء الآداب . فان كان الماسون يحبّون الانتماء الى هذه الجمعيّات فلا بأس وهم اعلم بما يجري في بعض اجتماعاتهم من العادات الرمزيّة الخلاعية التي بلغت اليهم بحق الوراثة

ثانيًا انهُ لاقرب من العقل والتصديق ان يقال انّ الماسونيّة هي حفيدة لجمعيات أخر وشيع سرّية ظهرت في اوائل النصرانية فقامت لمناصبة الدين المسيحي وتعرّضت لاربابه

وبثت في حقه الاكاذيب والتهم الّا انّ سهمها طاش عن غرضه. وكان اصحاب هذه الشيع يُعرَفون باسم الادريين(Gnostiques) ويتظاهرون بخدمة العلوم وما كانت علومهم سوى اوهام استعاروها من التنجيم والتيرنجيات وفنون السحر وغايتها في الغالب تعظيم القوى الطبيعية ورفع البشريّة الى درجة اللاهوت على مقتضى مبدأ الحلولية او الانتشار (panthéisme). وقامت في القرن الثالث للميلاد الشيعة المانويّة فأخذت من اقوال الادريين وزادت عليها مبدأ الثانويّة فجعلت إلهًا للخير وإلهًا للشرّ يتنازعان بينهما السيطرة في العالم. ولا شك انّ في المذهب المانوي بقايا من تلك الشيع كما اقرّ بالامر احد زعماء الماسونية الكبار في المانية ومنشئ بعض فرقها المعروفة بعُصَب المتنوّرين زيد الدكتور وَيسهوبت(Weishaupt) فانه في كتابه المدون بدستور التنوير في الجزء السادس منهُ يقول للفارس الماسوني ما تعريبهُ (١ « لا يعرف اسرار الماسونية غير المتنوّرين لا بل لا يقفون عليها كلها الّا بعد البحث والاجتهاد فالفارس المتنوّر يقتضيه السعي في ذلك. وليعلم أنهُ ان اراد الاطّلاع على اسرار الماسونية الصادقة انما يفوز بمرغوبه على الاخصّ بدرس كتب الادريين والمانويين ». وقد اقرّ مثلهُ بذلك كثيرون من الكتبة الماسونيين كالاخ راغون (Ragon) في كتابه الموسوم بالدرجات الماسونية (في الصفحة ١٣٠ والصفحة ١٤٩) ومثلهُ الاخ كلافل(Clavel) في تاريخ الماسونية والاخ ريداريس (Rédarès) في ابحاثه التاريخية عن الماسونية (٢٢-٢٣ وص ٢٥٤) ولهم كلام طويل نقلهُ ن. ديشان في كتابه عن الماسونية في الطبعة الثانية (٢ وهو أصرح من ان يحتاج الى ايضاح. ويؤيد اقوالهم عدّة رموز يتخذها الماسون في جمعياتهم والفاظ مستعارة من الادريين والمانويين يردّدها اكثرهم على شبه البغاء. ولا يعرف معناها الّا المتوغلون منهم في درجاتها العليا وقليلٌ ما هم. فمن آثار تعاليم تلك الشيع في الماسونية تشدّقهم بمعرفة النور وتنويه حول الداخلين في جماعاتهم وافتخارهم بنفي الظلمة ويشيرون الى ذينك المبدأين اي النور والظلمة بعمودين يقيمونهما في وسط ناديهم السريّ يدعونهما « بوعز وياكين ». ومنها الاسم الذي ينتحلهُ الماسون فيدعون انفسهم « ابناء الارملة » يريدون مانيّ ابن ارملة المدائن. ومنها تمثيلهم موت مانيّ الذي سلخ جلدهُ ملك الفرس

(١ اطلب تاريخ بابيانو (ج ٢ ص ٤٣٠)

(٢ N. Deschamps: *Les Sociétés secrètes et la Société*, 2 éd. I, 284–295

فيصرخون « ماك بناك » اي جُرِّد اللحم عن العظام . فيبدون امارات الحزن على موتهِ وغير ذلك مما لا يوقف هُ على معنى دون مراجعة كتب المانويين والادريين

وكان لتلك الشيع اعمال سيئة توافق تعاليمهم الباطلة وصفها آباء الكنيسة كالقديس اوغسطينوس في كتابهِ عن المانويين والقديس ابيفانيوس في كتاب المرطقات . والذين وقفوا على اسرار الماسونيين وتروّوا في اشاراتهم والعادات المألوفة بينهم في بعض معاهدهم السرّية يجدونها شبيهة في عدّة اشياء بما كان جارياً في حفلات تلك الطوائف المستورة ومؤدّاها في آخر الامر الى خلع العذار ونبذ كل شريعة الهيّة ومدنية والاستسلام لكل اهواء القلب والفواحش المنكرة

ثالثاً وقد ظهر في عهد اقرب من زماننا شيع أُخرى بينها وبين الماسونية علائق اوثق واشدّ نزيد شيع الكثاريين والاليبجيين تألفوا من بقايا المانويين في جهات البلغار والبشناق وتقدّموا زرافات ووحدات الى انحاء ايطالية ومنها الى جنوبي فرنسة فانتشروا هناك انتشار الوباء المبيد في القرن الثاني عشر ولم يزالوا يعيثون في تلك البلاد حتى جعلوها قاعاً صفصفاً وقام الملوك وجنّدوا الجنود لمحاربتهم . وكانت تعاليم تلك الشيع سرّية تندى لها الوجوه حياء فيطلقون العنان لكل الشهوات الوحشية حتى اصبح اسمهم مرادفاً لشرّير وفاسق . اما النسبة بين تلك الشيع والماسونية فقد اثبتها احد الكتبة البروتستانت المؤرخ الشهير هورتر في كتاب تاريخ انوسنت الثالث (ص ٢٨٤ و ٢٨٦) قال سنة ١٨٤٠ ما تعريبهُ :

« ان من يعتبر نظام الشيعة الماسونية الباطني وما تكبدهُ من المكايد منذ نحو ستين سنة لمحاربة الكنيسة الكاثوليكية ثم يقابل بين مبادئها ومبادئ شيع الكاثريين المعروفة لا يسعهُ الا الاقرار بالتوافق الموجود بينهما ليس فقط من حيث المبادئ العمومية ولكن ايضاً في دقائق الامور . فانّ الشيعتين كلتيهما تجاهران بحرّية الانسان التامة واستقلاله من كل سلطة عليا . كلتاهما تبغض البغض التامّ كلّ نظام للهيئة الاجتماعية ولشرائع الدين وعلى الاخص لقوانين الكنيسة . كلتاهما تحرص على سرّها فلا تكشفهُ الّا للذين اختبرتهم زمناً طويلاً واذا اعلنتهُ قضت بالأقسام المحرّجة بكتمهِ عن كل غريب بل عن اقرب الاصدقاء والاهل . لكلتيهما رؤساء مجهولون لا يعرفهم الّا بعض الافراد . وكذلك اعضاؤها يتعارفون برموز سرّية واشارات خفيّة يطرقها من سواهم . وترى كلتا الشيعتين اذا خافت على نفسها طائفةً جاهرت بالمراء وتظاهرت بالدين لتدع الجمهور . واني اقدر ان اؤكّد اتمّ تأكيد انّ كل ما حدث في اوربّة من الفتن والثورات والانقلابات السياسية منذ اكثر من نصف قرن (يريد منذ ظهور الثورة

الفرنسوية) انما كان من اعمال تلك الشيع السرّية التي خلفت شيعة الاليجيين »

هذا ما قالهُ احد البروتستانت الذي يُعدّ من اوثق كتبة مصرنا لتجرُّده في قوله عن كل غرض ولسعة معارفهِ

رابعاً ومن اجداد الماسونيين الذين لهم حقوق الاجرّة عليهم شيعة الهيكليين. كان هؤلاء اوّل امرهم طائفة رهبانيّة مركزها في القدس الشريف أُنشئت للدفاع عن الاراضي المقدّسة في ايّام الصليبيين الّا انها بعد حقبة من الدهر زاغ رهبانها عن قوانينهم واهملوا نذورهم للصالحة وتسرَّب اليهم حبّ الملاذ فاختلطوا بشيع شرقيّة ساد فيها الفساد وانتسوا بآداب اصحابها وحذوا حذوهم في المنكرات فشذبتهم الكنيسة وامرت بالغائهم وبقي منهم بقايا نشزوا بعد ذلك سئهم بالشيع الماسونيّة. قال الماسونيّ ڤيلوم (Willaume) في دليل الماسونيين (ص ١٠ و١١) بعد تعريضهِ للهيكليين وما شاع بينهم من الاسرار الخفية: « انّ الهيكليين بعد الغائهم ككجمعية مدنية لم يتلاشوا بل اورثوا نظامهم وتعاليمهم لخلفائهم الفرمسون من بعدهم. فهذا ما يلوح لنا من درس تاريخ الماسونية وسيرها ». ثم يثبت قولهُ بعدّة اشيا. كان للهيكليّون ألفوها في خبايا معاهدهم وهي اليوم جارية في المحافل الماسونية المختصة ببعض الافراد دون جمهورهم

خامساً واخيراً في الماسونية ايضاً وفي طقوسها وشعائرها واحكامها عدّة اشيا. تشير الى تاريخ اليهود وسننهم وعاداتهم ولاسيما الى احدى شيعهم السرّية بعد المسيح تُعرف بشيعة القبّاليين (Kabbale) انتشرت في القرون الوسطى ومزجت بين التعاليم الفلسفيّة والاقوال السفسطيّة والاضاليل السحريّة وكان بينها وبين شيع الاليجيين روابط متينة فامتزجت ببعضها امتزاج الماء بالراح ثم اشتدّ ضررها حتى وجّهت قوّتها للسياسة ومعاكسة السلطتين الدينيّة والمدنيّة. وآثار تلك الشيعة اليهوديّة ظاهرة في اعمال الماسونية ورُتبها وأزيائها وطقوسها وشعائرها السرّية. وقد أُلّف في ذلك كتاباً واسعاً السيّد مورين (Mgr Meurin) بحث فيه عن العلاقات بين الماسونية وشيع اليهود في القرون الوسطى واثبت رأيهُ بأدلّة جليّة لا تُنكر

فكل هذه النِحَل التي سبق ذكرها قد تعاقبت وتناصرت وائتلفت فتركّبت من مجموعها الشيعة الماسونية فكانت تلك الفرق كقواعد جرت مياهها الى نهر كبير او

بالاحرى كجداول الى سيل جُحاف هدَّ سدوده وطغى حدوده وعاث ما شاء في السهول والاودية

تلك هي العناصر المختلفة التي صيغت منها بعد توالي الاجيال حلقة الماسونية الحاليَّة. وقد ساعد على انتظامها وائتلافها ما اعتادهُ اهل الحرف والصنائع منذ القرن الثاني عشر فانهم كانوا يتَّحدون فيؤلفون شركات مستقلة ليذبُّوا بها عن حقوقهم ويدافعوا عن امتيازاتهم. وكان بين تلك الشركات فئات خاصَّة بالبنَّائين. وكانت اعمالهم مُهمَّة يشتغلون بتشييد ابنية عظيمة كالقصور والكنائس والجسور فهذه الشركات كانت تحتمي في كنف الدين وتسير على مقتضى سُنَنهِ وترفع دعاويها الى ارباب لتُفضَّ المشاكل على طريقة سلميَّة. وشاعت تلك الشركات في دول اوربَّة كانكلترَّة وفرنسة والمانية وايطالية وكان الاحبار الرومانيُّون يباركونها ويمنحون اصحابها النعم الروحيَّة ويرصون بها لرباب الامر حتى ثبت وبلغت مبانًا كبيرًا. الَّا انَّ الرجل العدوَّ الذي اعتاد ان يبثَّ الزوان في حقل ربِّ البيت دخل ايضًا في تلك الشركات ودسَّ سمَّهُ في دسمها فانَّ البعض من تلك الشركات جعلت باغراء قوم اشرار تُخلد الى الفتن وتنصب المكايد للدول وتعارض لاهل الدين

واوَّل عهد ورد فيه ذكر الماسونيَّة ووصف شيء من اعمالها انَّما هو عهد كولونيا من اعمال المانيا كُتب سنة ١٥٣٥ وأثبت العلماء صحَّتهُ (١. فان هذا العهد الذي ورد فيه لاوَّل مرَّة اسم الفرمسون مع ذكر رُتبه الثلث اي الطالب والشريك والاستاذ. ويفتتح كاتب هذا العهد كلامهُ بذكر الماسونيَّة والمدن التي أُنشئت فيها محافل الجمعيَّة ثم يلخِّص ما ينسبهُ الناس الى الجمعيَّة الماسونيَّة من الدسائس وكيف شاع بين الجمهور انَّ غاية الماسون التمرُّد على السلطة الدينية والمدنية وانَّ القوم ينسبون اليهم قلَّة الدين ويلومونهم على كتم اسرارهم فتلافيًا لما ينتج عن تلك الشكايات قد اتَّفق رؤساء الجمعية الماسونية على وضع بعض البنود التي يجب على الاخوة ان يحرزوها ويأتمروا بها. ويلي هذه المقدِّمة ثلاثة عشر بندًا تحتوي خلاصة القوانين الماسونية ومختصر تاريخها. فيؤخذ من هذا التقرير ان الماسونية كانت في ذلك العهد كما هي في عهدنا لها اسرارها

(١) اطلب كتاب ديشان (١ : ٢١٨)

واقسامها ودرجاتها ورؤساؤها الذين تخضع لهم وانها لا تكترث لدين ولا تعتبر الديانة المسيحية الّا كشيعة من الشيع وغير ذلك مما خُص به الماسون في زماننا. وفي آخر هذا القرار اسماء رؤساء الجمعية وهم تسعة عشر قد وقّعوا عليه بامضائهم وكلهم من ألدّ اعداء الكنيسة الكاثوليكية بينهم هرمان دي ڤياك (Herman de Wiec) الذي كان اسقفًا على كولونية وتشيّع بالشيعة البروتستانية فاوزرته الكنيسة من شركتها. ومنهم فيليپ ميلنكتون (Mélanchton) احد أنصار لوتاروس ومنهم رئيس البروتستانت الفرنسويين كوليني (Coligny)

وفي تلك الاثناء كانت الشيع البروتستانية اشهرت حربًا عوانًا على الكنيسة تحت قيادة لوتاروس وكالوين وهنري الثامن ملك انكلترة فتحاماوا كلهم على الدين الكاثوليكي من كل صوب واملهم ان يستأصلوا آثاره فوجدوا في الجمعيات الماسونية اقوى مساعد لتحقيق امانيهم. وكانت البروتستانيّة جاهرت بحرية البحث واستقلال الضمير ففتح هذا المبدأ بابًا واسعًا للجدال والخصام واخذت الشيع البروتستانيّة تتقسّم وتتفرّع فينافي بعضها بعضًا حتى بلغ بهم الامر الى جحود الوحي وتوريد العقل ونكران كل شريعة وقد اشتهر منهم بهذه الاضاليل لوليوس سوسين (L. Socin) وابن اخته فوستوس سوسين صرّحا بعداوة كل دين ولاسيما الدين الكاثوليكي وسعيا في نصر غايتهما وتقويض اركان كل المعتقدات. وعاش فوستوس زمنًا طويلًا ونشر آراءه الكفرية في كل انحاء اوربة واتخذ الجمعيات الماسونيّة كآلة لبلوغ مرامه فزادت مذ ذاك الحين تلك الجمعيات سوءًا وتحاملًا وانتشرت انتشارًا عظيمًا في البلاد البروتستانيّة وعضدها كرومويل في انكلترة وهو قاتل الملك كارلس الاوّل

وفي القرن الثامن عشر وجدت الماسونية في الفلاسفة الكذبة كڤولتير وروسو والمبار وفردريك ملك بروسيا وغيرهم انصارًا تكاتفوا في دكّ اركان الدين ومناصبة ملوك عصرهم حتى بلغوا ما كانوا يتشوّقون اليه من خراب العروش والمذابح مما

(له بقية)

الكثلكة في ماردين

رواية لشاهد عيانيّ نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

(حاشية) قلنا في مقدّمة الأثر الذي اهتممنا بنشره انّهُ قد وقع من وسطهِ اوراق وعقدنا الامل بوجودها في نسخة ثانية لدى احد القراء. فلم يخب املنا فانّ حضرة الاب انطون رباط اوقفنا على نسخة اخرى تروي ما وقع من النسخة التي باشرنا في طبعها فدللنا على ما اخذنا منها بمكمّلين [] وهذه النسخة احدث من نسختنا لكنها قديمة ايضاً وهي تخص حضرة الشمّاس يعقوب سلوجي الكاهن السرياني الكاثوليكي في التبك فنشكر الابوين على ما افادا ل. ش

ومن قبل ان يموت (البطرك) بعشرين يوماً رحت الى الدير (دير الزعفران) ودعاني لعنده وكنّا اثنينا في القلاية فاراد بكذبهِ يسرق عقلي فقال لي: يا شمّاس انني لمّا صرت بطركاً رحت الى حلب وطمشت (وطرشت) الكنيسة فنظرت الباطريّة (اي المرسلين الفرنج) يجون كل يوم سبت ومعهم سطل كبير ويدخلون الى الكنيسة ويبقون مقدار ساعة زمانيّة ثم يخرجون ويروحون. فلمّا نظرتُ هذا مراراً كثيرة زعقتُ (اي دعوتُ) واحداً من المحبّين يسمى شكري [القتال وسألتهُ عن القضيّة فاخبرني قائلاً: «انّ هؤلاء الباطريّة الذين يجون ويجيبون معهم السطل يجيبونهُ كل سبت حتى يبيّضوا قبر البطرك اندراوس (١ والسطل ممتلئ كلساً منخولاً معجوناً لكنّ القبر في السبت الثاني يسودّ». فلمّا سمعتُ هذا قلتُ لشكري: «بات (بتّ) هذه الليلة عندي وجيب معك اثنين حافظين للسرّ». فجاء في تلك الليلة وفتحنا القبر واخرجنا عظام البطرك اندراوس والقيناها في بيت الماء.

ومع قوله هذا تزلزلت الارض وبدأ (البطرك) يرجف مثل القصبة واسودّ واخضرّ وبدأ يقول: كيرياليسون كيرياليسون. وقلتُ لهُ: هذه من كذبك تزلزلت الارض فانبهت (فُبهت) وما بقا (بقي) يقدر يردّ جواباً فقمت تركتهُ وهربتُ. وهذه الزلزلة صارت في المدينة كلها حتى عرفت بها الكبار والصغار. وهذه الحكاية حكيتها في

---

١) هو اندراوس اخيجان اوّل بطاركة السريان الكاثوليك في القرن السابع عشر توفي سنة ١٦٧٧.

مدينة رومية (١ للمفريان اسحاق بن جبير (٢ وللاسقف سفر (٣ فقالا : « الله يسوّد وجهه انّ جسد البطرك اندراوس نقلوهُ (نقلهُ) الباطريّة الى رومية وهو محطوط (مقبور) في كنيسة مار يوحنّا (٤ وهو الذي الآن يصنع العجائب كما عمل في حياته عجائب كثيرة ومن جملتها اعمال الصدقة . وهو الذي الزم (اي دفع) القنصر (القنصل) بيكث (٥ ان يفرّق صدقة سمانة كيس في حلب في سنين الغلاء السبع حتى انّ صدقتهُ وصلت للحنفاء (للمسلمين) ولليهود وليس هو الذي ظلم الارامل والايتام وفرّق مالهم على الظلّام حتى يبطل حق الايمان فخزاهُ الله من معلّمه الشيطان » هذا ما قالهُ الاسقف (سفر) والمفريان (ابن جبير)

فلنرجع الآن الى مقصودنا فنقول (٦ . انّ بعد ما هلك هذا التعيس ماتت القسوس وتأملت الشبّان والشيوخ فقامت الناس على الزيجة وتزوّجوا الارامل والبنات المتروكات وكنت تبصر انّ في كل ليلة يصير عشرون بزّاخ (اي بركة الزواج) وازيد . ثم انّ الكركي رسم بعد ذلك اربعة قسوس في (كنيسة) الاربعين (شاهدًا) وياعجوبة من الله كلهم ماتوا بعد ما كان انقطع الموت قبل تكميلهم لرسمين يوماً وبقي الكرسي (اي كرسي البطركيّة) فارغًا مقدار سنتين وتخلّف فيه ابن اخت اسحيته (٧ الذي عمل أشرّ

---

١) ومن هذا نستفيد انّ ابن الكزبر بعد رجوعه الى الكثلكة ذهب الى رومية

٢) اطلب المشرق (١١ : ٣٨٦)

٣) يريد اثناسيوس سفر الاسقف الماردني (المشرق ١١ : ٥٦٣) .

٤) يريد كنيسة مار يوحنا في لاتران وهي الكنيسة الكتدرائيّة البابويّة في رومية

٥) يريد القنصل فرنسيس بيكات (Fr. Picquet) القنصل الفرنسويّ في حلب في اواسط القرن السابع عشر . وكان من افضل اهل زمانهِ قائمًا وهد بسيطًا واتمم في سلك ارباب الكهنوت ثم عيّنهُ الكرسيّ الرسولي قاصدًا لبلاد ما بين النهرين وتنجم فخدم هناك الكنيسة خدمًا صادقة ومات براثحة القداسة في اصفهان في ٢٦ آب سنة ١٦٨٥ . وسيرتهُ العجيبة قد طُبعت بالافرنسية في باريس سنة ١٧٣٢

٦) هنا قطعة طويلة ناقصة في الترجمة الفرنسويّة التي نشرها حضرة الاب شيّل في الشرق المسيحي

٧) كذا دعاهُ المؤلف وفي تاريخ البطريركيّة السريانية الانطاكية لحضرة القس اسحق ارمله (ص ٩٣) انّ اسمهُ كان اسحاق وكان مطرانًا على اليعقوبية في حلب وانتدبهُ اهل شيتو الى البطريركية في ٨ شباط سنة ١٧٠٩ وبقيّة اخبارهِ تأتي في المتن

(شرا) من خاله فانه جاء من حلب وارتسم في ديار بكر ثم جاء الى ماردين ورسم قسوساً كثيرين. فسيدنا الورتبيت (ملكون طازباز) امر على حقارتي ان اصير ايضاً كاهناً وقال لي: « اذا ارتسمت فانا امنحك سلطاناً باذن ودستور الكنيسة المقدسة ان تحل الناس من خطاياهم ». فتكلم بعض الناس مع اسحيته كي يرسمني فما رضي بل خلّى وراح الى الموصل ووكل الكركي مكانهُ

فتجبّر هذا الشقي وجمع كم واحد (بعضاً) من اصدقائهِ وقال: اريد ان اوسع البيعة وابني هيكلاً على اسم لبّاس الحديد (١ فعملوا تداريكهم وبنوا مذبحاً تحت الليل ورسمهُ الكركي باسم برصوما. فلمّا رحت الى كنيسة الاربعين (شهيداً) ونظرت الشعب قد نسوا اسم الاربعين واسم مار بهنان (٢ وبدأوا يتوسلون ويستغيثون ببرصوم لبّاس الحديد فجئت واخبرت سيدنا الورتبيت بما صار فاغتاظ غيظاً عظيماً من شرّ هؤلاء القوم الذين لا يخافون من الله ولا من الحكّام ولا يستحون من الناس. فقلت لهُ: اعطيني دستوراً حتى اشاور به الحاكم واهدمهُ. فقال لحقارتي: يا شمّاس اذا هدمتهُ تكسب فضيلة كبيرة وترفع كجاته (٣ من رأس الاربعين شهيداً ومن رأس مار بهنام

ثمّ مضيت واخبرت واحداً مسيحياً من اهل السراي وقلتُ لهُ: عندي تقدمة كبيرة اقدمها الى الحاكم اني اريد اوّلاً ان يحلف لي انهُ ما يخونني ويعمل مرادي. فمضى وحكى لهُ فبعث حسي وادخلني اليهِ وحلف لي يميناً عظيماً انك ايش (اي شيء) ما تقول اعمل. فقلت لهُ: قد صار قضيّة. فقال لي: ايش هي. فقلت لهُ: اخاف من طائفة اليعاقبة. قال: لا تخف. قلت: بيعتي هي بيعة الاربعين شهيداً وقد جاء المطران كركي وضبط الكنيسة وجمع مالاً كثيراً وغلّة وبطر فتشاور مع كم واحد من محبيهِ في الليل ورفع بعضاً من الحيطان الذي داخل الكنيسة ووسّعها وبنى فيها بيعة جديدة على

---

١) كذا يدعو اليعاقبة برصوم احد زعماء الشيعة المونوفيسيّة في القرن الخامس. وهم يزعمون انهُ كان يلبس درعاً من حديد تقشّفاً

٢) ويقال جنام احد شهداء العجم في ايّام سابور

٣) الكجّات لفظة فارسيّة بمعنى الادجاس والاوساخ

اسم برصوم وهذه هي قباحة كبيرة ان يغيّر فرمان السلطان وقد نسوا الاربعين شهيداً وبقوا يدعونها بيعة برصوم. وهذه هي قباحة كبيرة لانهُ بغير فرمان السلطان في كل بلاد الاسلام ما يقدرون ان يضعوا في الكنيسة حجراً واحداً وهذا الشقي بنى بيعة باسم برصوم والبناء يشهد عليهِ. فقال الحاكم: ايّ معمار هو الذي بناها فاقطع اصابعهُ. قلتُ: ما اعرف. فقال لي: من ابعث اجيبهُ الأول؟ . قلت: القس

فلمّا ارسل وجاب القس سألهُ الحاكم: يا قس ايش عملتم في بيعتكم. قال بنوا بيعة على اسم برصوم تحت الليل. قال: من كان المعمار. فقال ختني. فامر ان يرفعوهُ الى الزنجير. فقلت: لا. اتركه حتى يروح وأرسل جيب اثنين من الطائفة فلاناً وفلاناً. فصرف القس وارسل جابهما فلما حضرا قال لهما: ايش قد عملتم في البيعة. قالا: « قد وقمنا وراح ما بقى يفيد القول. بقي منك السكين ومنّا اللحم. الله يسوّد وجه الكركي ». فبعث ليجيب الكركي فهرب فمسكوا راهباً من تلاميذهِ وجابوهُ ورضعوهُ في الزنجير فقال: فوضعوا (فضعوا) البقيّة معهُ. فتوسّلوا بالخواجا اسحاق ليقطعوا جريمتهم (غرامتهم). قال لهم: « انا ما لي خلطة معهم. هوذا الخواجا سفر ابن الجل وكيل البطرك فليحرث قدّامكم. فقالوا للخواجا سفر ليقطع غرامتهم فقال: انا اكون وكيلاً وتساون هلقدر (هكذا) قباحة وما تشاوروني » وكان يكشف رأسهُ في السوق ويقول: يسلط عليك الله تعالى يا كركي تنة التينة (١ وجرب جحري في جسدهِ (٢ وعوّض هذا الجرب الذي وضعهُ في جسد اليماقبة والذي ما بقي ينضف (ينظف) الى يوم القيامة

ثم اتوا جميعهم الى حقارتي وطلبوا ان اروح اقطع غرامتهم. فرحتُ وقطعتُ على الكركي الف قرش وعلى اتباعهِ العشرة كل واحد مائة قرش ففي ذلك النهار ماروا (مدّوا) زنبيلين زلط وجابوهما. ثم اشاروا عليهم الناس قائلين: اطلبوا دستوراً من الحاكم واهدموا البناء لئلا يسمع باشا دياربكر فما يكفاهُ (يكفيهِ) اربعون كيساً ويهدم البيعة كلها. فلمّا اتوا ليطلبوا دستوراً من الحاكم ليهدموهُ. قال لهم الحاكم: انَّ هذا قد بُني بغير امر السلطان وانا ما اقدر آمر (بهدمهِ) حتى اشاور بهِ

(١ اشارة الى لعنة السيّد المسيح للتينة غير المثمرة في الانجيل

(٢ هو غلام النبيّ اليشاع الذي قبل رشوة من النعمان فضربهُ النبي بالبرص

السلطان فاتوا وتوسلوا الى حقارتي ثانياً ان امضي واقول للحاكم ان يهدمهُ. فضيتُ وقلتُ للحاكم: هذا كان قولنا معك ان تهدمهُ. فطلب الف قرش أخرى حتى هدمه فارضيناهُ باربعمائة قرش اخرى (١ [وجاء الكهيا (٢ والقاضي والمفتي والسخطريّة ودخلوا الى (كنيسة الاربعين وامروا ان نكشف هذا الصنم (اي شخص برصوم) وقالوا: اهدموهُ وارفعوهُ. ثم قال واحد من المراطقة: ليهدمهُ دشمانهُ (٣. فقلتُ لهم: لماذا انا اهدمهُ هذا هدمهُ على السخطريّة. ثم تقدّم واحد وضرب المعويل (المعول) وقال: هذا هو برصوم النجس. ثم بدأوا يهدمونهُ كلهُ. وكان البعض من العجائز الجاهلات يدقوا في صدورهم ويقولوا (يدقّن صدورهنّ ويقلن): يا لِبّاس الحديد برصوم الذي صار سبب هدمك لا تتركهُ (اي سالماً)

وبعد ذلك صرت عليهم استون (اي رئيساً ومتقدّماً) واي شغل يصير لهم يجيئون لعندي فامشي قدّامهم واقضي امورهم. ثم تشاورنا مع سيدنا ملكون الورتبيت ان أرتسم كاهناً. فهو كان راضياً برسامتي واراد المطران ان يرسمني لكني ما كنت راضياً في هكذا رسامة ثم انّ بعض العُصاة راحوا ووقعوا عند الخواجا اسحاق قائلين لهُ: انّ اهل بيعتنا كبارهم وصغارهم يدعون عليك وعلى اولادك لانهُ اذا ارتسم هذا (اي حقارتي) يخرب بيعتنا. وراحوا معهُ الى الحاكم وقرّوا له (اي طرحوا امامهُ) اربعمائة قرش ومنعوني من الرسامة ودعاني الحاكم وقال: حتى اصرف هذه الدراهم ثم اعود وآمرهم حتى يرسموك

ثم اجتمعوا عليّ جميع اهل البيعة وخصوصاً الذين اعطوا الدراهم وتوسّلوا اليّ بكلام طيّب قائلين: « يا اخانا الشماس انت كنت تكرز علينا دائماً وتقول: ما في شيء أخير (خير) من المحبّة وسيدنا ما أوصى الّا على المحبة فكذلك الرسل والاباء والقديسون يوصون كثيراً بالمحبة والآن نرجو من الله ومنك ان تعمل معنا محبة وتحمل علينا الى حينما يجيء من الموصل ونحن نقبلك علينا قسيساً ورئيساً وجميعنا نصير تلاميذك

---

١) هنا في نسختنا ينقص ٣٦ ورقة استعرناها من نسخة القس يعقوب حلوجي

٢) لفظة تركية بمعنى المدبر

٣) اي عدوّه. يريد ابن العبري

وبعد هذا بخمسة وعشرين يوماً ماتت حرمتي معترفةً متناولةً وانشحت من يد سيدنا ملكون الورتنيت اذ جاء بنفسه اليها الى البيت ثلاث مرات وكانت من بيت حنّا الطوّار ابو (ابي) الاسقف سفر وبنت الخواجا مقصود الذي كان سافر الى بلاد الافرنج مرتين. وبعدما ماتت امرأتي بدأوا يشيرون عليّ ان اتزوّج حتى لا ابقي ارتسم قسًّا فاذا تزوّجتُ يخلصون مني (١ وقالوا: نعطيك خمسمائة قرش وتأخذ لك بنت فلان. وكان رجلًا غنيًّا. فما رضيتُ بذلك

وكان في ماردين رجل يقال لهُ شمّاس شكرو ابن الخواجا جاني. وهذا الرجل كان بازركانًا (٢ كان قد سافر الى الهند والعجم والمسقوف والافرنج وكان رجلًا عاقلًا اديباً معلّماً باللسان السرياني والعبراني. ولمّا صار الطاعون في ماردين ماتت حرمتهُ واولادهُ حتى لم يبقَ لهُ سوى بنت واحدة وضاع مالهُ. وكان لهُ عند حاكم ماردين مقدار دراهم فارضاهُ بشيءٍ طفيف واخذ تمسُكهُ (اي عهدهُ) ووعدهُ قائلًا: اذا جاء البطرك من الموصل اطلبهِ يرسمك اسقفًا

فلمّا نحن سمعنا هذا فرحنا كثيرًا وكان في طائفتنا ثمانية شبان يلتمسون الرهبنة فقلنا: هذا خير على خير اذا صار لنا اسقف كاثوليكي فيعود يرسمنا كلّنا

فلما سمعوا المراطقة هذه الشورى كتبوا الى البطرك للموصل. فلمّا جاء من الموصل ونزل في قرية القصور ومنها الى المتصوريّة (٣ ارسل خلفي فما رحتُ اليهِ. فقام تحت الليل هاذاك (هاتيك) الليلة وهرب الى دياربكر. فلما سمع الحاكم بهربهِ اغتاظ غيظاً عظيماً وارسل جاب مطرانين من الدير وقال لهما: اريد منكما في هذه الليلة ان ترسما هذا الرجل (اي الشمّاس شكرو) كي يصير كواحد منكما (اي اسقفًا) ففي تلك الليلة ارادا ان يرسماهُ ويأخذا منهُ تلموذًا (اي شهادة) على اعتقادهم

ثم مضيا في الليل وبرطلا بالدراهم واشتكيا عليهِ وقالا: «هذا الرجل تريد ان نعملهُ كواحد مثلنا. لكن هذا الرجل ما يقبل ان يصلي كما نصلي نحن ولا يقول مثل ما

١) يلمّح الى عادة الكنائس الشرقية التي لا يجوز فيها ان يُكرّس احدٌ اذا تزوّج مرّتين
٢) لفظة اعجميّة بمعنى التاجر
٣) القصور والمتصوريّة قريتان في سفح الجبل الواقعة عليهِ ماردين

نحن نقول ». فحبسهُ عندهُ الى الصباح وعند الصباح اجتمع جمهور كبير من الثلاث مراعيث واتوا ليشهدوا زوراً علينا وكان رأسهم الشماس فحمه بن عجم وكانوا يلقبونهُ ابا الفقراء. فلمَّا نظر الحاكم وكان اسمهُ اوصمان (عثمان) هذا الجمهور يقودهم ابن عجم مسك ابن العجم وأمر بجلدهِ ثم حبسهُ مع الشماس شكرو في قيد وهرب الناس

امَّا انا فاخذت معي بعد ذلك غداء وعرقاً ورحت اليهما الى الحبس ونظرتهما الاثنين مقيَّدين جملةً. فقلت لابن العجم: انت تحمي هؤلاء ولو اعطيت عشرة غروش ما يردُّون لك منها فلساً واحداً. ثم اكلا وشربا وعند المساء دعاهما الحاكم وامر الشماس شكرو ان يقول كقول الاسقفين ليرسلهُ

وعند الصباح رحتُ الى الكنيسة (كنيسة الاربعين) فنظرت الشماس قد لبس قميصاً وقام ليخدم القدَّاس فلمَّا وصل الى اقوال الهراطقة ذكر ديوسقورس ويرصوم واتباعهما. فقلت لهُ: كان لك احسن ان تُسلم ولا تهرطق. فاجتمع الناس عليَّ قائلين: انت ايش يشيك. فاتيت واخبرت سيدنا الورتبيت بقضيَّة الشماس فانحصر (فحزن) كثيراً. ونحن في الحديث والَّا جاء الشماس شكرو فقال لهُ سيدنا الورتبيت: لماذا عملت هكذا. فاجاب عملت كما عمل مار بطرس ومار بولس لمَّا دخلا الى رومة وحضرا مع سيمون (الساحر) قدَّام نيرون الملك فبطرس صار من حزب المسيح وبولس من حزب سيمون الساحر حتى ينقضي الشغل. فقلت لهُ: لعن الله هذه الحكاية كلها كذب وزور. فالشماس شكرو لمَّا سمع قولهُ القى نفسهُ على قدميهِ قائلاً: قد خطئت فاغفر لي. ولكن لا بُدَّ انهم يرسلوني غداً او بعد غد

امَّا الاسقفان وجماعة اليعاقبة فبعد خدمة الشماس شكرو في بيعتهم ارسلوا الى ديار بكر لعند اسحيقه فاخبروهُ. وذلك الشقي راح الى عند الباشا واشتكى على الورتبيت وعلى الشماس شكرو وكان الباشا ظالماً متنوع الخيرات فارسل مباشراً (الى ماردين) يطلب الورتبيت والشماس (شكرو). وفي يوم وصول المباشر كان كهيا الباشا قد جاء من بغداد ونزل عند الحاكم. فاجتمعوا اعيان البلد كلهم وكتبوا عرضحالاً للباشا ليرسلوهُ مع الكهيا والمباشر وشهدوا كلهم للاب الورتبيت انهُ رجل مبارك شريف وما لهُ شر على احد وانَّ البطرك يعمل عليهِ زوراً وتلبيساً. وكان ابن الجل صرَّاف الحاكم وكان قد ارسل معهُ (اي مع البطرك) عشرين كيساً

ليسلمها للباشا من ميل الميري. فكتب الباشا للحاكم قائلًا: ان لم ترسل لي ابن الطازباز والشماس شكرو اخذت الدراهم من ميل جريتهم (اي بصفة غرامة). قال هذا كل ما علمهُ ابن الجل. واخبرونا بعض اولاد البيعة الذين في باب (اي ديوان) الباشا انَّ اسحيقه خسر اكثر من كيس حتى طالع يوردياً (١ ثانياً لتوقيف الورتيت والشماس

فلمَّا جاء المباشر ثاني مرَّة دعا الحاكم الورتيت واراد تسليمهُ فرضي ان يروح هو والشماس شكرو واردتُ انا الحقير ان اروح معهما فمنعني الحاكم وقال: انَّ اسمك ليس هو في اليوردي. والجماعة قالوا لي: اصبرْ فان مسكوا الورتيت تمضي انت فتشتكي على البطرك. فعلمتُ الشماس شكرو بعض اشياء يقولها للباشا. ولمَّا حضرا قدَّام الباشا سأل الورتيت: ايش انت. اجاب الورتيت: انا رجل ماردیني الاصل من طائفة الارمن وهذا البطرك يعتربي ما لهُ عليَّ حكم. ثم قال للشماس شكرو: وانت ايش انت. قال: انا سريانيّ الاصل وكل اهل ديار بكر تعرفني انّي كنتُ رجلًا بازركانًا وانكسرتُ لما صار الموت (الطاعون) في ماردين فمات اهل بيتي واولادي وبقيت رجلًا ثانياً فقلتُ لهذا البطرك ان يعلمني راهباً حتى ادعو للسلطان فاراد مني دراهم. فقلتُ لهُ: انت تأكل من باب اسطنبول الى بغداد وما تعطي لبيت المسلمين شيئاً فأنا اريد اعمل هذه البطركية ميري لاني سافرت سرارًا كثيرة الى اسطنبول ونظرتُ انَّ طائفة الروم والارمن وغير طوائف تعطي الميري. فاغتاظ البطرك من هذا الكلام ولذلك جاء واشتكى عليَّ. حينئذٍ امر الباشا بحبسهما وبعث جاب البطرك وسألهُ: كم سنة لك بطرك. قال: سنتان. فقال: ايش تبعث في كل سنة لبيت المسلمين من البطركية. قال: هي إنعام عليَّ. فقال لهُ: لعلَّك اكبر من باشا انا اكون نفر السلطان وأنعم عليَّ بديار بكر والآن أرسل وطلب مني عشرة آلاف عسكري وانت ما تعطي بدلًا للسلطان. قال: لا. فقال الحاكم: هذا الذي اشتكيت عليهِ من طائفتك يريد يبعث في السنة عشرة اكياس فاعطِ انت حساب سنتين عشرين كيساً ولا تعود تصير بطركًا. ثم امر بحبسه وزنجيره. فبعث البطرك يتوسل من صرَّاف الباشا وكان رجلًا يهودياً اسمهُ موشان فاتى الى عند الباشا وقطع غرامتهُ عشرة اكياس وكفلها

---

١) اليوردي من التركية يورلدي اي الحكم والقرار والبراءة

وسيَّبهُ وسيَّب الورتبيت والشماس شكرو معهُ . فجاء الشماس شكرو الى ماردين واخبرنا بالقضيَّة . وبعد كم يوم جاء الورتبيت فاعطوهُ الكاثوليك كل واحد على قدر طاقته بمحبَّة عظيمة . فبقي زماناً في ماردين جالساً ومتسلطاً وما كان يُرائي احداً وما كان عندهُ لا كبير ولا صغير ولا غني ولا فقير وكان دائماً مجتهداً ان يكسب للبيعة جميع الناس

فاتَّفق انَّ يوماً من الايام رحتُ انا الحقير الى قلايتهِ وكان والدهُ القدسي(١ مراد حاضر عندهُ فقال لحقارتي قدَّام ابنهِ الورتبيت : « اما تقصرون رجلكم فرد زمان من الرواح والمجيء لعند ابني . أما تنظرون ما عمل بطركنا معنا ؟ » . فلما سمع ابونا الورتبيت هذا الكلام من فم ابيهِ تحرَّك بالروح القدس وجلس على ركبتيهِ ويديهِ الاثنتين قال لابيهِ : لسكت يا ابي انت لا تدري ما تقول . واراد ان يطرد والدهُ من القلاية ثم قال لهُ : انا اريد ان أسفك دمي قدَّام هذا الشماس وانت تقول لهُ : قصِّر رجلك . فقال والدهُ : اخطأت يا ابانا فاغفر لي . فاجاب الورتبيت : « انت تخاف على مالك وبيتك وما تخاف على نفسك ؟ انا ارسلني الحبر الاعظم ووضع هذا الخيط الاحمر في رقبتي علامة اني اسفك دمي لاجل ايمان البيعة المقدَّسة افيمكن أن لا أكرم هذا الشماس وهو رأس قبيلة » . فلمَّا سمعت هذا الكلام منهُ صرت ارتعد وابكي على قدميهِ وقلت لهُ : يا سيدنا حقًّا حقًّا انا واقف (اي ثابت في الايمان) الى حدّ الموت بقوَّة الله تعالى وعناية البيعة المقدَّسة وبركة صلواتك

وبعد زمان اشاروا بعض الناس على الورتبيت ان يرتحل من ماردين على قدر ما تنساهُ الظلَّام . فعاد الى دياربكر وسافر من دياربكر الى اسطنبول وتركنا غنماً بلا راعٍ . واذ لم يكن يوجد احد من طائفتهِ كاهناً كاثوليكياً ليقضي امور رعيَّتهِ اوصى بهم القس موسى الكلداني (٢ من بيت الحصرم وطلب منهُ ان يقضي لوازمهم الروحية

وبعد ذلك جاء اسحيقه (البطرك) الى ماردين وابتديتُ اهدمهُ في الاسواق وفي القيصريَّة واحكي عنهُ اشياء ليست كاذبة بل صادقة واقول عنهُ انهُ عدوّ الباطان وانهُ يسبُّ الحنفاء وانهُ يقول انَّ الله تعالى بطبعهِ الشريف اللطيف قد مات واشياء

(١ نصارى ما بين النهرين يلقّبون باسم القدسي كلّ من يزور القدس الشريف تعظيماً

(٢ وفي هذا دليل على وجود كاثوليك من الكلدان في ماردين في ذلك الوقت

اخر غير هذه ليس حاجة ان نكتبها. فكانوا اهلهُ يروحون ويحكون لهُ كلامي. فأرسل وتوسّل الى الخواجا اسحاق ان يرسلني لانهُ بعث خلفي وما رحتُ. فالزمني الخواجا اسحاق ان اروح اليهِ مع واحد من خواجكيّة البطاقية

*

وبعد هذا جاء مار يوسف الثاني (١ من ديار بكر فتلقي اليوم الذي وصل راح اسحقه اليهِ بهدايا كبيرة وسلّم عليه. وبعدهُ ارسل لهُ المطارين اجمعهم واحداً بعد واحد ثم امر ثلث مراعيث ان يروحوا اليه كلهم ويسلّموا عليه ويقبّلوا يدّيه كل يوم مرعيث ووكيلهم معهم والشمامسة والخواجكيّة كلهم راحوا بهدايا الى عند مار يوسف وانا الحقير ما رحتُ. وكان مار يوسف كلّ يوم يسأل عني لانهُ لم يكن يعرفني بالوجه بل بالاسم ويقول: لماذا لم يجئ الشماس اليّ. ثم قال للخواجا اسحاق: ألعلّ هذا الذي يقال لهُ الشماس ايليًا ابن الكزبر ليس هو في البلد. فقال لهُ الخواجا اسحاق: ما جاء اليك؟ قال: لا وانا مشتاق لاعرفهُ. فجاء الخواجا اسحق من عندهِ صباح الاثنين واجرني في القيصريّة فدعاني على جانب وقال لي: يا شماس لماذا لا تروح لعند مار يوسف البطرك. فقلت لهُ: الآن يروح اليهِ غير الناس فاذا كلوا الرواح انا اروح بعدهم قال لي: روح الآن لانهُ يشتهي اليك وانا جاني من عندهِ فسألني عنك ولازم ان تروح

وجت واجرني الزاعور (٢ في الحوش فطلع واخبر البطرك فنزل مار يوسف قدامي الى الحوش واحتضنني قائلاً وهو يزح: انت هو الشماس ايليًا هادم الكنائس؟ فقلت: « انا هو عبدك. وسليمان الحكيم يقول: للبنيان وقت وللهدم وقت ». فسكتني بيدهِ تحبة عظيمة واصعدني الى قلّايتهِ وامر ان تُغلق الابواب وترضع السفرة. وبدأ يتكلّم معي فقال لي: يا شماس لمَّ بطرككم هذا يريد ان يصير كاثوليكيًا. فقلت لهُ: من اين تعرف يا سيدنا. فقال: « قد اظهر لنا محبة كبيرة في هذا البلد وقد كان بقي في ديار بكر سنتين وما زارني ولا يوماً واحداً ولا انا زرتهُ. واوّل يوم جئت الى ماردين جاء زارني وارسل جميع المطارين والقسوس والشمامسة والخواجكيه فجاوا وزاروني بالهدايا وأروني محبة كبيرة ». فجاوبت للبطرك انا الحقير وجبتُ لهُ مثلاً من

(١ هو البطريرك الكلداني الكاثوليكيّ الجليل تجد ترجمتهُ في المشرق (٣: ٨٨٠–٨٨١).

(٢ الزاعور (والصواب ساعور لفظة سريانيّة (صحفوا) بمعنى المدبّر والقندلفت

كتاب الثعالب (١ : « قالوا انَّ اسدًا وذئبًا وثعلبًا اتَّفقوا جميعًا ومضوا ليصيدوا فلقوا ثلاث غنمات فقال الاسد للذئب: اقسم . فقال الذئب: الغنمات ثلاث فلكل واحد منا واحدة . فلطمهُ الاسد وقلع عينهِ . فقال للثعلب: اقسم . قال الثعلب: أيُّها الملك انَّ هؤلاء قد قسمهم الله فالغنم ثلاث والثلاث لسيّدي الملك واحدة لغدائك وواحدة لعشائك والثالثة لتتغدَّى بينهما ولن فضل شيءٌ تأكلهُ العبيد . فقال الاسد للثعلب : من علَّمك هذه قسمة الحق . قال: تعلَّمتها من عيني الذئب اللتين زُجتا الى برًّا . فكذلك يا سيّدنا ما علَّم البطرك اسحيقه هذه المحبَّة الَّا الاكياس التي راحت عليهِ في ماردين وديار بكر » . فحينئذٍ احتضنني وعانقني ثم قال لي: قد ارسلوا لي كتابًا عتيقًا بالسرياني على رق غزال هل تحسن ان تقرأ فيهِ . فقلت: لازم قليل . ففتح الكتاب وقال : اقرأ وفسِّر . فقرأتُ وفسَّرتُ . حينئذٍ قال: أريد ان ارسلك قدَّامًا واستقدمك . فقلت لهُ : ما انا مستأهل . قال: غدًا يوم الاحد اريد ان أرسم ابن اختي الشمَّاس قوياقوس كاهنًا واريد ان ادعو البطرك والمطارين والقسوس وجميع اليعاقبة واخلي الخورنا اسحق يتكلَّم معهُ حتى يرسلك فاذا رسلك يدعونا لحضور رسامتك فاجعل نيَّتك مع نيَّتي وانا ارسلك

وبعد ذلك رحتُ من عندهِ وكنت كل يوم في السوق اهدِّد (اقرِّع) اليعاقبة بقباحتهم وهم يضحكون ويخجلون البطرك وكان يرسل يدعوني وانا امتنع . فدعاني الخورنا اسحق وقال لي: لماذا لم تروح روح واتكلَّم معهُ مثل ما تريد . فيوم السبت رحت الى عندهِ وكان عندهُ ناس كثيرون من النصورانيَّة (٢ وكان هناك المطران صليبا فلاقاني وقال لي: شدَّ ظهرك وهزّ الشلاق (٣ عليهم لأنهم قد ماتوا منك

فصرف البطرك الذين كانوا عندهُ ثم دعاني وتلطَّف معي وملَّقني قائلًا: يا ولدي نحن ايش عملنا معك كي تهتكنا في الاسواق قدَّام المسلمين لعلَّنا نحن عابدون للاصنام فقلت: لستم عابدين للاصنام لكنَّكم مقطوعون من الكنيسة المقدَّسة . فقال لي: حاشا وكلَّا فنحن مطيعون للكنيسة وسيدنا البابا هذا الواقف (الحالي) قد باركنا انا وخالي

(١) اي من امثال الحيوانات كامثال لقمان

(٢) قوم من اليعاقبة شديدو التعصُّب بالشيعة اليعقوبيَّة

(٣) الشلاق شبه المدرج او هو مثلاة الفقراء . واراد بهزّهِ نفضهُ ومجازًا المجاهرة بفكره وخفايا قلبهِ

ايضاً يوماً من الايام اذ كنّا طايرين على كنيسة السريان التي في رومة وكان الاسقف سفر (اثناسيوس) قد ابتدأ القدّاس فدخل البابا الى البيعة وامر ان يبدأ القدّاس من اوّلهِ فقدّس الاسقف كعادة السريان وبعد خلوص القدّاس امر البابا ان يفسّروهُ لهُ كلمة بكلمة. فلمّا فسّروهُ قال: اذا كان قدّاس السريان هكذا فلماذا هذا الخصام بينكم وبين اليعاقبة. قالوا: انهم يذكرون ديوسقوروس ويرصوم واتباعهم. فقال البابا: هذا لا يضرّ اتركوهم ان يذكروهم. ثم باركنا وبارك طائفتنا. فقلت لهُ: اروبني (أريني) نيشان البابا وايش ما رسم اقبلهُ

واذ نحن نتكلّم هكذا جاء القس موسى الكلداني وابصرني هناك فقال للبطرك: انّ سيّدنا مار يوسف يسلّم عليك ويطلب ان تأخذ معك غدًا الطارين والقسوس والشمامسة لتحضروا في كنيسة باهرمز (١ لانهُ يريد ان يرسم ابن اختهِ قسًّا. فاجابهُ قائلا: «سمعاً وطاعة انا اروح ولجيب معي مطرانًا واحدًا وقسّيسين او ثلاثة حتى لا يصير ثقلة عليكم. ولكن يا قس موسى زجو منكم ان تكلّموا هذا الشمّاس لانهُ يقول لنا: ارسمني قسّيساً واعطني بيعة باشقه (٢ واني ما اقبل ذكر الذين تذكرونهم أفاضلٌ هذا يصير؟» اجاب القس موسى وقال لحقارتي: واجب يا اخانا الشمّاس ان تتبع بطركك. فقلت لهُ: روح دبّر على نسطورك (٣ فهذاك مثل هذا. فنهض وقال: الله يعون عليكم. ثم قال لي البطرك: لا بقيت تتكلّم بشيء وانا ارسمك واعمل ما تريد. فقمت وخلّيتهُ وجئتُ

ويوم الاحد من الصباح رحت الى (كنيسة) باهرمز ونظرت البطرك قد جاء وجاب معهُ مطرانًا وقسّيسين وشمامسة كثيرين واجتمع في الكنيسة خلقٌ لا يحصون من الثلاث الطوائف ونصبوا كرسيين في باب الهيكل للبطركين ولبس مار يوسف لباس الكهنوت ولبس التاج وقام كزّ وكان الناس صامتين حتى كنت تظن انهُ لا يوجد احد في الكنيسة وكزّ على شرف الكهنوت وكان كاروزًا ماهرًا معلّماً ذا هيبة وسطوة

---

١) والصواب مار هرمز. وهو القديس هرمزد الشهير الذي على اسمهِ مشيّدة كنيسة الكلدان في ماردين وهي قديمة جدًّا

٢) لفظة تركيّة بمعنى منفردة ومستقلة

٣) يشير الى اصل الكلدان المرتدّين عن شيعة نسطور

حتى تظنّ انهُ مالك من الملوك . ثم امر بجلوس الناس جميعاً الكبار والصغار وانَّ الشمّاس قرياقوس يبقى وحدهُ قائماً حتى يبصره الكل فقال : يا قرياقوس : لماذا هؤلاء الشعب كلهم جلوس ؟ وانت وحدك قائم ايش تطلب أتتمنّى ان تصير كاهناً ؟ اجاب وقال : نعم . قال لهُ : الكاهن لازم ان يكون مزيّناً بكل الخصائل الممدوحة قاهراً لاعدائهِ الثلاثة اي الشيطان والدنيا والجسد وخصوصاً الجسد هو عدوّنا الكبير لأنّنا اذا قمنا يقوم معنا وان جلسنا يجلس معنا وان اكلنا يأكل معنا فان كان جرّبت ذاتك وتقدر ان تملك جسدك فتقدّم وصيرْ كاهناً . ثم سألهُ اشياء كثيرة ما تقدر ان نصفها واحدةً بواحدة لاجل التطويل ثم قال لهُ : قولْ ايمانك

فقال : « انا اومن بالثالوث الاقدس الاب والابن والروح القدس وآمن انَّ احد الاقانيم اي الاقنوم الثاني تنازل من اعلى السماء وحلَّ في بطن سيدتنا مريم العذراء واخذ منها الطبيعة الانسانيَّة بجملتها اي الجسد والنفس الناطقة باتحاد الاقنوم الالهي ولتقرير هذا الاتحاد يكون المسيح واحداً بعينهِ إلهاً كاملاً وانساناً كاملاً ابن الله وابن البشر وانَّ الطبيعة الواحدة لم تنقلب من الاخرى او تستحيل الى الأُخرى او تمتزج بالأُخرى بل في هذا الاقنوم الواحد حفظت الطبيعتان الكاملتان اي اللاهوتيَّة والناسوتيَّة خواصّها ولها مشيئتان وفعلان حتى ان المسيح هو واحد فقط . واومن بالبيعة المقدَّسة الجامعة الرسوليَّة الرومانيَّة وانَّ رئيسها هو الحبر الاعظم سيدنا البابا واعتقد ان جميع الخارجين عنها ما ينالون الخلاص . وأومن بكل ما تؤمن هذه البيعة المقدَّسة واحرم كل ما تحرم ولجميع الخارجين عنها » . فقال لهُ مار يوسف : هذا هو ايمانك . قال : نعم . قال : يشهد عليك الله وملائكتهُ وهذا اخونا البطرك الواقف والمطارين والقسوس والشمامسة والشعب . اجاب : نعم . حينئذٍ رسمه

وبعد ما رسمهُ طلعوا الى القلّاية (اي الديوان) وما رحت معهم بل رحتُ الى البيت . فبعد ما اكلوا وشربوا قال اسحيقه لمار يوسف وللخواجكيه : هوذا قد اكلنا معكم بكل محبة وايش ما في قصدكم نحن نعمل ولكن مرادي منكم فرد شي . فقالوا : ما هو مرادك فنحن نقضيه . قال مقصودي ان تخلّصوني من يد ابن الكزبر . فاجابهُ الخواجا اسحاق : ماذا عمل بك . ايش هو قولهُ . قال : هو افرنجي . قال : نحن ايش . فسكت فاجاب مار يوسف وقال : من يكون هذا الذي تقول عنهُ . قالوا لهُ : الشمّاس

ايليا . فقال : اين هو لابصرهُ . قالوا : كان في اليمة وما قبل يطلع الى فوق (اي الى الديوان) فقال : « يا اخانا البطرك هذا عجب عظيم من هو هذا الشماس حتى تقول خلصوني منهُ فلو كان هذا بطركاً وقاومك او مطرانًا واراد ان يرسم عليك بطركاً فكان فرض علينا ان نعاونك » ثمَّ ضرب لهُ مثلًا فقال : « اسمع يا اخانا ان سبعة (لبوَّة) من السباع ولدت اسدين وربَّتهما سنتين وراحت حتى تجيب لهما صيدًا فصادهما صيَّاد واذا هما قدَّام باب المغارة يتصارعان (يزأران) مع بعضهما فضربهما تفنكة (١ فقتلهما جملة وجرَّهما الى تحت شقيف بعيد عن المغارة وسلخ جلدهما وذهب وراح . فلما جت (جاءت) امُّ الاسدين وجابت لهما الصيد وطلبتهما في المغارة لم تجد افراخها فالتت الصيد وخرجت تدور عليهما فلما لاقتهما تحت الشقيف مسلوخين الجلد بدت تكهر (بدأت تزأر) وتنمر (٢ وعرفت انَّ هذا عمل الانسان فقالت : ها اني ذاهبة لانتقم من ابعداني فأفترس كل انسان القاهُ . فخرجت واذا بامّ ثعالب فسألت اللبوَّة : ما دهاكِ ولي بليَّة حلَّت بكِ . قالت : دعيني فاني كنت ربَّيت لي ولدين فانظري ما صنعوا بهما . فقالت امّ الثعالب : اسمحي لي أيتها الملكة بأن اسألك سؤالًا واحدًا يليق حزنك . بماذا كنت تغتذين منذ سكنتِ هذه الامكنة . قالت اللبوَّة : بلحم الحيوانات . قالت ام الثعالب : اوما كان لهذه الحيوانات أمهات . قالت : نعم . فقالت امّ الثعالب : فكما انت ابكيتِ تلك الأمهات كذلك من العدل ان تبكي انت

« وهكذا انت يا اخانا البطرك فكم وكم ابتليت رجال طائفتك الصالحين كالبطرك بطرس (٣ والمفريان اسحاق (٤ والمطران رزق الله (٥ وغيرهم الذين ماتوا في

---

١) التفنكة لفظة تركيَّة بمعنى البارودة والبندقيَّة

٢) هنا وقع من نسخة حضرة الخوري يعقوب حلوجي ورقة فاختصرناها عن نسخة الموصل التي نشرها بالافرنسية حضرة الاب شيل

٣) هو اغناطيوس بطرس السادس الذي خلف اندراوس اخيجان سنة ١٦٧٨ ونُفي بمكايد اليعاقبة من حلب الى آمطه وكان وقتئذٍ مطرانهم اسحقه المذكور هنا ومات البطريرك في حبسهِ سنة ١٧٠٢ (اطلب الآثار المخطيَّة للاب انطون رباط اليسوعي المجلد الاول صفحة ١١٦)

٤) يريد ابن جبير المارّ ذكرهُ

٥) هو المطران الكاثوليكي رزق الله امين خان الحلبي الذي نفي الى آمطه مع اغناطيوس بطرس ومات عند وصولهِ اليها في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٧٠١ (اطلب الآثار المخطية صفحة ١١٦)

المنفى بسببك. فجازاك الرب بهذا الشماس ليعاقبك على يده. اما نحن فلا سلطة لنا عليه»

وبعد هذا ارسل البطريرك اسحيقه اليّ احد القسيسين يقول لي (١ : «اني اريد ان اعمل ضيافة في الدير (اي دير الزعفران) لمار يوسف (بطرك الكلدان) وللخواجكيّة بجملتهم وانت تحضر ايضاً فتتكلّم معك وترسمك واعمل ما تريد». فلما كانت ليلة الاحد دعا مار يوسف الى الدير ودعا الخواجكيّة كلهم. فوقت المساء اذ هم على سطوح الدير كلهم وناولوني (الشراب) لاسقي (الجماعة) قال لي مار يوسف باللسان السرياني: «ما احسن وابهج اذا سكنوا الاخوة سويّة» (مزمور ١٣٣ : ١) فردّيت (اي اجبت) انا ايضاً بالسرياني: انّ للاخوة الصافيين يستحقّ الذكر. فاغتاظ البطرك اسحيقه مني وقال: كل كلامك طعن فاجاب الخواجا اسحق وقال لمار يوسف: ايش قلتما حتى انتبن (تكدّر) البطرك. فقال مار يوسف: خلّ الشماس يفسّر. فقال لي: فسّر يا شماس. قلتُ: قال مار يوسف آية داود: ما احسن وابهج ان يكون الاخوة جميعاً. فاجبتهُ انا وقلتُ: انّ للاخوة الصافيين يستحقّ الذكر. فقال الخواجا اسحق هؤلاء ما هم صافيين (صافون). قلت: لا. غداً مار يوسف يقدّس والبطرك (اسحيقه) يقدّس وكل واحد يحرم الآخر. فقال الخواجا اسحق: حقّاً هو هكذا

وثاني يوم تركوا مار يوسف يقدّس في الهيكل الكبير وهم قدّسوا في بيعة السيدة وصاروا خلوص القدّاس طلعوا وقعدوا خانف القبّة (٢ وجلس البطركان واجلساني بينهما (٣ ... فقال الخواجكية للبطرك: غداً ارسمهُ في الصباح ونحن نكفلهُ انّهُ ما بقي يحكي بهذا الكلام. فقال البطرك: اني ارسمهُ لكن اريد منهُ ان يعطيني حجّة. فقلتُ لهُ: من هو الذي ارتسم بحجّة فهل تريد تعطيني مُلكاً حتى أُعطيك حجّة؟

حينئذٍ تغدّوا وقاموا من الغداء وطلعوا الى مار يعقوب (٤ بجملتهم وانا ما رحت معهم. فلما كان وقت الظهر نظرت قد جاء راهب ومعهُ ورقة من مار يوسف

---

١) من هنا وما يلي مأخوذ من نسخة الاب يعقوب وهو ناقص في النسخة الموصليّة فلم يترجمهُ حضرة الاب شيل الى الفرنسويّة وبهذا الخلل انتقض المعنى

٢) اي قبّة كنيسة دير الزعفران

٣) هنا في الاصل بعض اسطر التبس معناها ولعلّها محرّفة فاضربنا عنها

٤) دير مار يعقوب فوق دير الزعفران يبعد عنهُ نحو نصف ساعة

والخواجكية انهُ لازم تقوم تركب وتجيء الى مار يعقوب وقد اقنعنا البطرك ان يرسمك : فقمتُ ورحت مع الراهب في الوقت . ونحن في العشاء تكلّم ايضاً البطرك بكلامه السابق وطلب كتابة حجّة وانا قلت لهُ : اريد كنيسة باشقه . وما أتفقنا . وثاني يوم اخذوني الى سيّدة الناطفة (١ جميعاً . فلمّا تغدّوا وبعضهم ناموا اخذتُ مار يوسف ليدور الدير . فلمّا وصلنا الى عند احد رهبانهم المسمّى عزّو رأيناه جالساً على فراشه فقلت لهُ : قبّل ايدي ابينا البطرك . فمدّ يدي وقال : انا ما اقبّل الّا هذه اليد التي طرحت كل هؤلاء الحمير في الجبّ . فلمّا سمع مار يوسف هذا الكلام قال : حقّاً يقول هذا الراهب فانهُ جعل كل جماعته حميرًا باجمعهم لا شكّ فيه . وكانت صفة هذا الراهب عجيبة فانهُ كان غليظاً جدًّا اذا ربض اشبه الفيل وديرسهُ (ثندوتاه) مثل حالوبة البقر وكان في وسطهِ زنّار من جلد سميك عرضهُ شبر وحلقاته من حديد وطول الزنّار كان يزنّر اربعة رجال . وجلس البطرك جنب الراهب واستخبره عن عمرهِ فقال انهُ في السنة التي خرج فيها السلطان مراد الى بغداد كان شابًّا ابن خمس وعشرين سنة (٢ . وفي تلك السنة جاء وصار راهباً وحكى عمّا رأى من الخصومات بين البطاركة . وسألهُ مار يوسف هل تعرف شيئاً من الصلاة . قال : ابدًا ولا قراءة ولا صلاة . وقال لهُ : قل ابانا الذي في السموات فقال منها كلمتين او ثلاث كلمات ثم قال : ما اعرف شيئاً . فالتفت اليَّ مار يوسف وقال : « هذا عجب عظيم انهُ من مدّة هلقدر زمان وستين هذا الراهب هنا وفات عليه هلقدر بطاركة ومطارين ورهبان وما قدروا يعلموه الصلاة . فحقّاً حقّاً انّ النعمة مختلية عن هذه الطائفة وهذا الراهب بالحق سمّاهم حميرًا . ثم تركناه

وعند العصر اذ كنّا تحت (دير) الناطفة وقد اكلوا وشربوا وطابت نفوسهم حضر هناك المطران الكركي فتخاصم معي وقال : « تريد تقفل الدير والكنائس وتحلّق (وترمي) مفاتيحهم قدّام الامير ولو رحنا كلنا تحت السيف ما نرسمك » . فحرتُ وقمت ركبت فرسي وجيت فقال بعضهم : راح يشتكي وان كان اشتكى نعطي

---

١) من مزارات النصارى قريباً من ماردين وهو فوق دير مار يعقوب يُدعى بالناطفة لأن الماء يقطر من جدرانهِ

٢) يريد مراد الرابع الذي حارب العجم وفتح بغداد سنة ١٦٢٣ وتوفي سنة ١٦٤٠ . فيكون عمر الراهب تيفًا ومائة سنة

بريته (غرامته) التي قرش من كيس البلد ونصابهُ . فقوّى قلبهم . وانا جيت الى بيتي وقاموا الخواجكيّة كلهم وجو (وجاؤوا) يوم الاربعاء عند السحر . وراح الكركي عند الامير واشتكى عليّ وكنت في البسط في آخور بيت القاضي فجاء الچاويش خلفي (اي جاء يدعوني) وقال لي: الامير يريدك. فرحت معهُ. وودّاني برّاني الى الزنجير (١ (لهُ بقيّة)

الآداب العربيّة

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

(محمّد سليم القصاب) ومن فرسان حلبة الادب بين مسلمي الشام في ختام القرن التاسع عشر الدمشقي محمّد سليم بن انيس الشهير بالقصّاب حسن. طبع له ديوان في دمشق في مطبعة الجمعيّة الخيريّة سنة ١٢٩٨ (١٨٨١) فمن اقوالهِ الجيدة ما قالهُ من قصيدة في السيّد عبد القادر الجزائري واولادهِ:

لمّا بأرض الشام حلّ ركابهُ ... ناديتُها باهي البلادَ وفاخري
أنعِم بنا فالوم جلّق اصبحت ... دار الخلافة وهو عبد القادر
يا دوحةً طابت مغارسها فلم ... تُثمر سوى ليثٍ وشبلٍ كامرِ
من كل شهم في الانام تحسّدٍ ... يسمو الى علياء كلّ مفاخرِ
مولاي محي الدين مصباح الهدى ... ذاك العليّ الشأن احمد شاكرِ
فكأنّهم لمّا تبدّوا حولهُ ... اقمارُ تمٍّ حولَ بدرٍ سافرِ
أكرم بهِ فرعاً يُفاخر فرعهُ ... باصولهِ فالكُ السماء الدائرِ
لا زال في اوج المدارج نجمهُ ... يسمو بمجدٍ ما لهُ من آخرِ

١) الى هنا كان الناقص من نسختنا الاصلية فاستعرناهُ من نسخة القس يعقوب حلو جي

وقال في جنينة شادها مدحت باشا لاهل دمشق دعاها جنينة الملّة سنة ١٢٩٦

هذه غرفةُ انسٍ ازلفت في رُبى الشام نمرُ الناظرينْ
قد بدت ازهارها تثني على بِدْحَتَ العلياء صدر الاعظمينْ
شادها للملّة الغرّاء قُلْ قادخلوها بسلام آمنينْ

ومن رثائه قولهُ في وجيه قومهِ حسين بَيْهم لمّا توفي في بيروت سنة ١٢٩٨:

هوى الكوكب الدرّي من أفق العلى فجرٌ القضا ذيل الظلام وأسبلا
سحاب كسى بيروت بُرد حدادها وحقّ لها بالحزن ان تتسربلا
فما كان الّا روحها وحياتها وقد اصبحت من بعدهِ جسداً بلا . .
عفافٌ وحلمٌ وافتخارٌ ورفعةٌ وجودٌ حكى فيضَ السحاب ترسّلا
اقيموا بني الآداب واجب نَعْيهِ فلم يبقَ ما للنفس ان تتململا

وختم للرثاة بقوله:

فلمّا دعاهُ الله جلّ جلالهُ الى جنّة الفردوس لبّى مهلّلا
فقال بشير النور تاريخهُ زها حسينُ المعالي فرّ في جنّة العلا

ومن محاسن وصفهِ قولهُ في وطنهِ:

يا الشام الّا جنّة الامصارِ ترهو بغوطتها على الاقطارِ
حصباؤها الدرُّ النضيدُ وترْبها م الكافورُ والبلّورُ فيها جاري
فيها الرياضُ الزاهرات محاسناً فاخضر بنا نتشقّ شذا الازهارِ
قد هبّ فيها الريحُ يرقص غصنها والطيرُ غنّى في عُلى الاشجارِ
وتفجّرت فيها المنابعُ انهاً ذوْبُ اللُجَيْن بجدول الانهارِ
هي موطني دون البلاد وبَيْتي فيها انتعاشي وانقضا اوطاري
يا شامُ انتِ شامةُ الدنيا التي قد فاح عنبرُ طيبها المطارِ

(السيّد محمود حمزة الحسيني) هو العالم الدمشقي العريق النسب من عائلة اصلها من حرّان ترقي نسبها الى الحسين. كان مولدهُ في دمشق سنة ١٢٣٦ وفيها توفي سنة ١٣٠٥ (١٨٢٠—١٨٨٧) واكبَّ منذ صغرهِ على العلوم اللغويّة ثم انقطع الى العلوم الفقهيّة فاصبح فيها اماماً ومعظم مصنّفاتهِ في الدين وفي كل ابواب الشرع الّا القليل منها كاعلام الناس والبرهان على بقاء دولة آل عثمان. ولهُ قصائد حسنة وقد شرح بديعيّة لوالدهِ وعُرف بحُسن الخطّ . وكان السيّد محمود رجلاً مهيباً جليل القدر كريم الطباع تولّى الإفتاء في دمشق دهرًا طويلاً وقد اظهر نحو المسيحيين في نكبة دمشق سنة

١٨٦٠ مروَّة اجازتهُ عنها الدولة الفرنسويَّة ببيبة سنيَّة. وقد اجتمعنا مع السيِّد محمود في دمشق غير مرَّة فلقينا منهُ شيخًا واسع المدارك غزير الاداب. ولهُ في تقريظ كتابنا مجاني الادب رسالة تنبئ بحسن ذوقهِ وتقديرهِ للمشروعات الادبيَّة. وفيهِ يقول محمَّد القصَّاب بمدحهِ

مفتي الانام سليل المجد ملجأنا ... تاج النظام فخار الفخر ذو الهمم
ماضي العزائم لا ندٌّ يضارعهُ ... بالامر والنهي والاحسان والكرم
بحر المعارف بالامواج زاخرهُ ... يلقي لنا درهُ الارشاد والحكم
في كلّ فنٍّ لهُ باعٌ يصيد بهِ ... ما شتَّ ادراكهُ عن حاذق فهم

(الامير عبد القادر الجزائري) نختم ذكر ادباء اسلام الشام في آخر القرن التاسع عشر بحسيني آخر عاش زمنًا طويلًا في دمشق وان لم يكن اصلهُ منها نريد السيِّد الاجل والامير العظيم عبد القادر الجزائريّ فانهُ وان كان من رجال السيف الَّا انهُ كان ايضًا من فرسان القلم. كان مولد هذا الامير في القيطنة من قرى ايالة وهران في بلاد الجزائر سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧ م) درس العلوم اللسانيَّة في حداثتهِ على اساتذة وهران ثم رافق والدهُ في رحلتهِ الى الحجاز والشام والعراق وعاد الى وطنهِ فعكف على العلوم الخاصَّة كالفلسفة والفلك والتاريخ حتى حمل الفرنسيس على الجزائر سنة ١٨٣٠ تلافيًا لاهانةٍ لحقت هناك بسفير ملكهم كارلوس العاشر واعتلوا جهاتها فانتشبت الحرب بين اهلها والفرنسيس وبايع الجزائريون للامير عبد القادر فقاموا معهُ قيام الابطال نرفع عن اوطانهم وكانت تلك الحرب سجالًا تارةً لهم وتارة عليهم ودامت خمس عشرة سنة أُلجئ الامير بعدها الى التسليم فسلَّم واتى من الفرنسويين كل احتفاء ورعاية وبعثت لهُ راتبًا سنويًا ثم تنقَّل مدَّة في مدن فرنسا وغيرها الى ان اتخذ لهُ دمشق سكنًا في سنة ١٢٧١ (١٨٥٥) فطابت لهُ هناك السكنى وفيها توفي في ١٩ رجب سنة ١٣٠٠ (حزيران ١٨٨٣) ومن مبرَّاتهِ جازاهُ الله خيرًا دفاعهُ عمَّن احتمى في دارهِ من نصارى دمشق في مذابح سنة ١٨٦٠ وكان عددهم نحو اربعة الاف. وكان الامير عبد القادر مغرى بالعلوم محبًّا للعلماء يعظِّمهم ويحسن اليهم. قيل انهُ كان يبلغ ما يوزِّع عليهم وعلى الفقراء مائتي ليرة في كل شهر. ولهُ تآليف مفيدة في التصوُّف وعلم الكلام وبعض كتب ادبيَّة منها «ذكر العاقل وتنبيه الغافل». انتهُ سنة ١٢٧١ (١٨٥٤). وقد نقلهُ الى

الفرنسويَّة المستشرق غوستاف دوغا (G. Dugat) فطبعهُ في باريس سنة ١٨٥٨ وكان للامير سليقة جيّدة في نظم القريض . ومن قصائده رائيَّة اوَّلها:

أسعودُ جاء السعد والخَيْرُ واليُسرُ ... ولَّت ليالي النحس ليس لها ذكرُ

ومنها قصيدة حماسيَّة كان يتمثَّل في معاركه باحد ابياتها الفخريَّة:

ومن عادة السادات بالبيض غمتي ... وبي يحتمي جيشي وتُحرَسُ ابطالي

ومن ابياته الفخريَّة قولهُ يذكر فيها احد ايَّامه لمَّا حارب الفرنسويين:

ونحن لنا دينٌ ودنيا تجمَّعا ... ولا فخر الَّا ما لنا يرفع اللوا
مناقب مقتارية قادريَّةٌ ... تسامت رعاسيَّةٌ مجدَها احتوى
فان شئتَ علماً تلقني خير عالمٍ ... وفي الروع اخباري غدت توم القوى . . .
ونحن سقينا البيض في كل معركٍ ... دماء العدى لمَّا وهت منهم القوى
ألم ترَ في خنق النطاح(١ انطاعنا ... غداةَ التقينا كم شجاع لهم لوى
وكم هامةٍ ذاك النهار قدَدْتها ... بحدّ حسامي والقنا طعنهُ شوى
واشقر تحتي كنَّتهُ رماحهم ... ثمانٍ ولم يشكُ الوجى بل ولا التوى
يوم قضى نحبًا اخي فارتقى الى ... جنانٍ لهُ فيها نبيّ الرضى اوى
فما ارتدَّ من وقع السهام عنانهُ ... الى ان أتاهُ الفوز رغمًا لمن عوى

ومنها في وصف الحرب:

واسيافنا قد جُرّدت من جفونها ... ولا رُدَّ الَّا بعد وردٍ بها الروا
ولمَّا بدا قرني يسناهُ حربهُ ... وكفّي بها نارٌ بها الكبشُ قد شوى
فايقن اني قابض الروح فانكفا ... يولي قواناهُ حسامي بما هوى
شددت عليهم شدَّةً هاشميَّةً ... وقد ورددوا ورد المنايا على النوى

وقد مدح الشعراء الامير عبد القادر بقصائد يبلغ مجموعها كتابًا ضخمًا . ومما قيل فيهِ لاحدهم:

بحر المعارف والدواوف والندى ... ذو الحكمة العليا الكريم العنصر
مولى بنيه بو الزمان وحبهُ ... ان لم يفز بنظيره مذ اعصر

﴿ ادباء مصر ﴾ لم يبلغ ادباء مصر من المسلمين في ختام القرن التاسع عشر ما بلغهُ ذوو دينهم في الشام واشرنا الى سبب ذلك في ما تقدَّم . على انَّ مدرسة الازهر بعد الاحتلال الانكليزي كانت لا تزال ضابطة لرئاسة تعليم العربيَّة نائلة للحسنات السبق في القطر المصري رغمًا عمَّا اصابها من التأخر في ذلك الزمن كما اقرَّ به ارباب الامر ومن ثم

(١ خنق النطاح مكان قريب من وهران حارب فيه جيش الفرنسويين

انشأوا سنة ١٣١٢ (١٨٩٤) مجلساً ليتدارك الخلل في ذلك وتُصلح طرق التعليم

وممّن نالوا بعض الشهرة في اواخر القرن التاسع عشر من شيوخ الازهر واساتذته الشيخ (مصطفى المروسيّ) الذي تولى ست سنين (١٢٨١—١٢٨٧) رئاسة الازهر ولهُ ما خلا الكتب الاعتقاديّة أحكام الفاكهة في انواع الفنون المتفرّقات توفي سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) ومنهم الشيخ (محمّد المهدي العبّاسي) ولد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨ م) واشتهر في العلوم الدينيّة وصارت اليهِ رئاسة الافتاء في الديار المصريّة واختارته عمدة الازهر لمشيخة تلك المدرسة فتقلّدها سنة ١٢٨٧ الى ١٢٩٩ وعاش الى سنة ١٣١٥ (١٨٩٨) فقال بعضهم مؤرخاً لوفاته .

عليهِ دمع الفتاوى باتَ منحدرًا وللمحابر حزنٌ ضاق عن حدّ
فيا المسائل قد باتت تؤرّخهُ مات المجيب الامام المقتدي المهدي

ومن تآليفهِ الفتاوى المنسوبة اليهِ المعروفة بالفتاوى المهديّة

ومنهم الشيخ (محمّد الانبابي) ألّف عدّة كتب في الصرف والنحو وآداب البحث وقد تخرّج على يديهِ كثيرٌ ممّن تصدّروا للتدريس . وتولّى مشيخة الازهر مرّتين . كان مولدهُ سنة ١٢٤٠ ووفاته سنة ١٣١٣ (١٨٢٤ — ١٨٩٦)

ومنهم (الشيخ عليش) احد مشايخ السادة المالكيّة في مصر ولد بالقاهرة سنة ١٢١٧ وبها توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٠٢ — ١٨٨٢) اشتغل بالعلم في الازهر حتى ادرك الجهابذة واخذ عنهُ جلّ الازهريين لهُ تآليف عديدة في الفقه وكتاب مواعظ

ومنهم (حسين بن احمد المرصفي) كان مكفوفاً وبلغ باجتهادهِ الى ان يدرّس في الازهر ومن تآليفهِ الوسيلة الادبيّة الى العلوم العربيّة والكلم الثمان في الادب توفي سنة ١٣٠٧ (١٨٨٩ م)

واشتهر غير الازهريين رجال يعدّهم المصريّون كاركان النهضة العلميّة في وطنهم في العشرين الاخيرين من القرن السابق نختصر هنا اخبارهم

(عبد الله باشا فكري) هو احد نوابغ الناشئة المصريّة في القرن الاخير ولد في مكّة اذ كان ابوهُ محمد مرافقاً في الحجاز للجنود المصريّة سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) ثم نشأ في مصر وشاب في حضانة المعارف حتى تضلّع في كل علم وقلّدتهُ الحكومة المصريّة المناصب الجليلة كنظارة المدارس ووزارة المعارف . وكان سار قبلها في رفقة الخديوي

اسماعيل باشا الى استنبول سنة ١٨٦١ ثم عُهد اليهِ تهذيب وليّ العهد محمد توفيق باشا واخويهِ الحسن والحسين فقام بتلك المهمّة احسن قيام. ولمّا ولي نظارة المعارف سعى في تنظيم الدروس وصنّف للدارسين كتبًا يدرسون فيها ومن خدمهِ الطيبة انهُ لم يزل يحضّ الحكومة حتى انشأت للكتبة الخديويّة التي تُعَدُّ من اغنى الخزائن الكتبيّة بالمخطوطات والمآثر العربيّة. ولمّا حدثت الثورة العرابيّة سنة ١٨٨٢ ألقي القبض على عبد الله باشا فكري وبقي مدّة تحت الاستنطاق الى ان عرفت براءتهُ وبُرئت ساحتهُ وكان الخديوي قد قطع معاشهُ فكتب اليهِ من قصيدة:

مليكي ومولاي العزيز وسيّدي ... ومَنْ ارتجي آلاءه معروفهِ العمرا
لئن كان اقوامٌ عليَّ تقوّلوا ... بامرٍ فقد جاؤوا بما زوّروا نكرا
فما كان لي في الشرّ باعٌ ولا يدٌ ... ولا كنت من يبغي مدى عمرهِ الشرّا
نعفوًا ابا العبّاس لا زلتَ قادرًا ... على الامر انَّ العفو من قادرٍ احرى
وحسبيَ ما قد مرَّ من ضنك شهرٍ ... تجرّعتُ فيها الصبرَ اطعمهُ مرًّا
يعادل منها الشهرُ في الطول حقبةً ... ويعدل منها اليومُ في طولهِ شهرا
أيجمل في دين المروّة انّني ... أكابد في ايّامك البؤس والعُسرا

فما لبث أن اعادهُ الخديوي الى مقامهِ السابق فقال يشكرهُ من قصيدة طويلة:

ألا انَّ شكر الصنع حقٌّ لمسلمٍ ... فشكرًا لآلاء الخديوي المعظّمِ
مليكٌ لهُ في الجود فضلٌ وفخرٌ ... على كل منهلٍّ من السحب مرهمِ
ساشكرهُ النعماء ما عانقت يدي ... يراعي او استولى على منطقي فمي
فلا زال محروسَ الحمى متمتّعًا ... مع الخيرة الاشبال في خير أنعُمِ

وتجوّل عبد الله باشا بعد ذلك في جهات الحجاز والشام. ولمّا عُقد في استركهلم مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٨٨ اوفدتهُ الحكومة لنيابة عنها وزار معظم الحواضر الاوربيّة وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاهُ ارشاد الالبّاء الى محاسن اوربّا لكنَّ المنون عاجلهُ فتوفي قبل اتمامهِ في اواخر سنة ١٣٠٧ (١٨٩٠) فانجزهُ نجلهُ بعد وفاتهِ. وقد خلّف عبد الله باشا فكري آثارًا ادبيّة جليلة كنظم اللآلي في الحكم والامثال والمقامة الفكريّة في المملكة الباطنيّة والفوائد الفكريّة للمكاتب المصريّة جمع فيهِ فصولًا تهذيبيّة حسنة لناشئة وطنهِ ولهُ شرح على ديوان حسّان بن ثابت لم يتمّهُ وقد جمع ابنهُ كثيرًا من كتاباتهِ وقصائدهِ في كتاب دعاهُ الآثار الفكريّة

وصفنـاهُ في المشرق (١ : ١٨٩) وكان المترجم بارعًا بالنظم والنثر راسخ القدم في بلاغة التعبير وكان بالخصوص اماماً في الانشاءات الديوانيّة فاستخدمهُ خديويّا مصر سعيد باشا واسماعيل باشا في اشغال الكتابة عنهما باللغتين التركيّة والعربيّة الى الملوك والسلاطين. ومن حكمه قولهُ:

اذا رُمتَ المروّة والمعالي وأن تلقى إلٰه العرش بَرًّا
فلا تقرب لدى الخلوات سرًّا من الافعال ما تخشاهُ جَهْرا

وقال يصف مؤتمر المستشرقين في استوكهلم من قصيدة:

نادِ بهِ احتفل الافاضلُ حفلةً بحديثها تتفادمُ الاعصارُ
جمعت لسانَ مرّةٍ ممدودةٍ في الدهر لا يُنسى لها تذكارُ
متآلفين بعبدهم بقريبهم والفضلُ اقربُ وصلةٍ تُختارُ
من كل فيّاض القريحة وردُهُ عذبٌ وبحرُ علومهِ زخّارُ
ومؤزَّرٍ بالفضل مشتملٍ بهِ منهُ شعارٌ زانهُ ودثارُ
لا زال ملكُ الفضل معمورَ الذرى بذويهِ ممدودًا لهُ الاعمارُ

وكان اسعد الله باشا ولد تقصّى اثار والدهِ اسمهُ (امين باشا فكري) درس الحقوق في فرنسا ثم عاد الى بلدهِ فتعاطى فن الدعاوي وبرَزَ فيهِ حتى رقّتهُ الحكومة المصريّة الى رئاسة النيابة سنة ١٨٨٨ ثم ولّتهُ قضاء محكمة الاستئناف ثم محافظة الاسكندريّة حتى انتدبتهُ لنظارة الدائرة السنيّة لكنَّ الموت اهتصر غصن حياتهِ فمات سنة ١٨٩٩ وكان مولدهُ سنة ١٨٥٦. ومن تركتهِ العلميّة كتاب مطوّل في جغرافيّة مصر والسودان. وكان رافق اباهُ مع الوفد المصري الى استوكهلم فانجز سفر رحلة ابيهِ كما انهُ جمع مآثرهُ المتفرّقة على ما سبق ذكرهُ ولهُ ايضًا فضلًا عمّا تقدّم رسائل وقصائد لم يُنشر منها الّا القليل

(علي باشا مبارك) هو ايضًا احد اركان النهضة المصريّة ولد من عائلة فقيرة في قرية برنبال من مديريّة الدقهليّة سنة ١٢٣٩ (١٨٢٣) فتقلّبت بهِ الاحوال الى ان توفّق الى دخول مدرسة القصر العينيّ وأُرسل الى باريس فدرس فيها فنّ الحرب ثم أُلحق بالجيش المصري وحضر حرب القريم سنة ١٨٥٤ ثم انتدبتهُ الحكومة المصريّة لوكالات وظارات ودواوين مختلفة ابدى فيها جميعًا عن مقدرة عظيمة وقد خدم الآداب العربيّة بتنظيم مكاتب القاهرة والبنادر وانشاء مدارس جديدة اخصّها مدرسة

دار العلوم وفتح المكتبة الخديويّة وتولّى نظارة المعارف فاجرى فيها اصلاحات مهمّة وفي آخر حياته اعتزل الاعمال الى سنة وفاته ١٣١١ (١٨٩٣) ولهُ تآليف ذات شأن اجلّها الخطط التوفيقيّة حذا فيها حذو الخطط المقريزيّة فوصف الخطط الجديدة التي أُنشئت في القاهرة ومدنها القديمة والشهيرة في ستّة مجلّدات. ومنها كتاب نخبة الفكر في تدبير نيل مصر وكتاب الميزان في الاقيسة والاوزان وكتاب طمّ الدين في عدّة اجزاء على طرز رواية ادبيّة عمرانيّة اودعهـا كثيرًا من المعارف والفنون كالتاريخ والجغرافيّة والهندسة والطبيعيّات وغير ذلك ممّا قرّب الى قرّائهِ فهمهُ بعرض شهي

(الشيخ الايباري) هو الشيخ عبد الهادي نجا الايباري احد الكتبة المدودين في اواخر القرن السابق. ولد في ايبار في جهـات مصر السفلى سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) واخذ عن والدهِ مبـادئ الآداب ثم حضر دروس اساتذة الازهر كالشيخ البيجوري والشيخ الدمنهوري وغيرهما ولم يزل يكدّ ويجدّ في تحصيل العلوم حتى نال منها ما لم ينلهُ الّا القليلون من معاصريهِ فعهد اليهِ الخديوي اسماعيـل باشا تثقيف اولادهِ وتصدّر للتعليم في الجامع الازهر فذاع صيتهُ في انحاء القطر المصري وجعلهُ الخديوي توفيق باشا إمام المعيّة ومفتيها فقام بمهامّ رتبتهِ الى وفاتهِ سنة ١٣٠٦ (١٨٨٨) وكان يجلّهُ الادباء ويراسلهُ فضلاء عصرهِ وقد جُمعت مكاتباتهُ للشيخ ابراهيم الاحسب في كتاب الوسائل الادبيّة في الرسائل الاحديّة. ومن تآليفهِ الشهيرة كتاب سمود المطـالع في مجلّدين ضمّنهُ كلامًا واسعًا في ضروب العلوم العربيّة. ومنهـا كتابهُ تتمّ الاكمام في مثلّثات الكلام كمثلّثات قطرب. وكتاب الفواكه في الآداب. واتخذهُ صاحبا الجوانب والبرجيس كحكم ليفصل المناظرات اللغويّة التي قامت بينهما فكتب كتابهُ النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوانب فنظم احمد فارس قصيدتهُ اندلاسيّة التي يقول فيها:

ابدى لنا في مصر نجمًا ثاقبًا ... لكن ثناهُ بكل مصر هادِ
فبهِ الفوائد والفرائد فُصّلت ... وموصولة البرهانِ بالاسنادِ
ان قـال لم يترك لقوّالٍ مدًى ... او صال صال وطال كلّ مُصادِ
هو فيصلٌ في الحكم يرضى فصلهُ ... من كان لم يقنع من الاشهادِ
لولاهُ لم يُقطع لسـانُ المفتري ... عنّي ولم يُفصّل جدالُ جلادِ
فلذاك كان على الجوانب مدحهُ ... حقًّا وايصابًا مـدى الآبادِ

(الشيخ عليّ الليثي) كان من اشعر شعراء العصر السابق. ولد نحو السنة ١٨٣٠

وصرف همّتهُ الى العلوم اللغويّة والادبيّة فصار منشئاً بليغاً وشاعراً مفلقاً حتى نظمهُ أولو الامر في سلك رؤساء المعيّة السنيّة ورافق الخديوي اسماعيل باشا في سفرهِ الى الاستانة سنة ١٢٩٠ ومدح السلطان عبد العزيز. وكان الادباء يتسابقون الى مطارحة الليثي ويتفاخرون بمكاتبتهِ . وقد طال عمرهُ حتى توفي مأسوفاً عليهِ في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٨٩٦ (١٣١٣ ه). ولهُ منظومات جمّة يُجمع منها ديوان الّا انّها لا تزال متفرّقة فمن محاسن اقوالهِ رثاؤهُ لعبدالله باشا فكري:

نذمُّ المنايا وهي في النقد أعدلُ غداةَ انتقت مولى بهِ الفضل يكملُ
كأنَّ المنايا في انتقاها خبيرةٌ بكسب النفوس العاليات تجمّلُ
فتمَّ لها من منتقى الدرّ حليةٌ جا العالمُ العُلْويُّ انّا جئنَ

ومنها في وصف العقيد:

لقد كان ذا برٍّ عطوفاً مهذّباً سجاياهُ صفوُ القطر بل هي اسهلُ
رقيق حواشي الطبع سهلٌ محبّب الى كلّ قلبٍ حيثُ كان مبجّلُ
كريم السجايا لا الدنايا تشينهُ عظيم المزايا اذ يقولُ ويفعلُ
شمائلهُ لو قسّمت في زماننا على الناس لازدانوا بها وتجمّلوا
فقدنا حياهُ ولكنَّ بيتنا بديع مزاياهُ جميلٌ نتمثّلُ

وقال يمدح السلطان عبد العزيز في عيد جلوسهِ سنة ١٢٩٠:

دعْ ذكر كسرى وقيصرٍ ان اردتَ ثنا عن قيصر الروم حيثُ النفعُ مفقود
واشرحْ مآثر من سارت بسيرتهِ وكاتب المجد تحدوها الصناديدُ
مولى الملوك الذي من يُمن دولتهِ ظلُّ العدالة في الآفاق ممدود
عبد العزيز الذي آثارهُ حُمدت ابُ الأُلى جذّهم في المجد محمودُ
اجاد نظم امور الملك في نسقٍ لا يعتريهِ مدى الازمان تبديدُ
وشاد فوق الذي اركانه قعدا لهُ على هامة الجوزاء تثبيدُ
فلا تَعِبْهُ باسلافٍ لهُ كرمتْ والشبلُ من هؤلاء الأُسد مولودُ
ففخرُهم عقدُ درٍّ وهو واسطةٌ في جيد آل بني عثمانَ معقودُ

ولهُ اللاميّة المشهورة قالها بعد الفتنة العرابيّة مستعطفاً مستصفحاً عن الجُناة:

كلُّ حالٍ لضدّهِ يتحوّلْ فالْزم الصبرَ اذ عليهِ المعوّلْ
يا فؤادي استرح فما الصبرُ الّا ما بهِ مظهرُ القضاء تمثّلْ
قدَرٌ غالبٌ وسرُّ الحتمايا فوق عقل الاريب مهما تكمّلْ
ربَّ ساعٍ لحتفهِ وهو ممّن ظنَّ بالسعي للعلى يتوصّلْ

(السيد عبد الله نديم) هو كاتب بليغ نبغ في مصر وسعى في تحرير وطنه فأنشأ عدة جرائد سياسية كان يزرع فيها بذور آماله وينهض هممَ مواطنيه حتى لُقّب بخطيب الشرق. ولما ثارت الفتنة العرابية نُفي من وطنه ثم صُفح عنهُ وبعد قليل اضطر الى مغادرة بلاده فتوجّه الى الاستانة ونال الحظوى لدى السلطان وما لبث ان توفي في القسطنطينية سنة ١٣١٤هـ. وكان مولدهُ بالاسكندرية سنة ١٢٦١ (١٨٤٤—١٨٩٦)

وكان عبد النديم خطيباً لسناً متوقد الذهن صافي القريحة شديد العارضة متفنناً في الكتابة نثراً ونظماً له ثلاثة دواوين كبيرة ورسائل وتآليف لغوية وادبية طُبع منها قسم في كتاب سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله نديم. فمن اقواله ما ذمّ به الخمرة:

طافَ النديمُ بكأسهِ في الحانِ ومشى يزفُّ البكرَ بالالحانِ
برزتْ تُقنّعهُ بين ندمانِ الطلا فخجلتُ اذ ضحكتْ على الاذقانِ
ذلّت لدولة حكمها دول الورى من غير ما حربٍ ولا اعوانِ
خفّت فطارت بالعقولِ وخلّفت تلك الجسوم بحالة الحيرانِ
ايُّ المحاسنِ ابصروا في وجهها وهي الشيقة من قديم زمانِ
امُّ الخبائث بنتُ عاوج الهوى اخت المشاتش زوجة الشيطانِ
من زفّها من خدرها لفؤادهِ صرعتْهُ عند مزالق الاطيانِ
واذا تستّر في ترشّفها بدتْ من فيهِ تفضحهُ لدى الاخوانِ
واذا مشى لبستْ بهِ عن مكرها فيقال هذي مشية السكرانِ

ومن اوصافهِ الحسنة قولهُ يصف قطاراً بخارياً:

نظر الحكيم صفاتهِ فتحيّرا شكلاً كطَوْدٍ بالبخار مُسيَّرا
دوماً يحنُّ الى ديار اصولهِ بحديدِ قلب بالنهيب تسعّرا
ويظلُّ يبكي والدموع تزيدهُ وجداً فيجري في الفضاء تستُّرا
تلقاهُ حالَ السير أفعى تلتوي او فارس الهيجا اثار الغبّرا
او سبع غابٍ قد احسَّ بصائدٍ في ثابهِ فعدا عليهِ وزمجرا
او انّما شهبٌ هوت من افقها او قبّة المطارِ تنفذ بالعرا

ولهُ في الفخر والحماسة:

اذا ما المجدُ نادانا اجبنا فيظهرُ حين ينظرنا حنينا
فانّا في عداد الناس قومٌ بما يرضى الاله لنا رضينا
اذا طاش الزمان بنا حلمنا ولكنّا نُحينا ان نُحينا .

وان شئنا نثرنا القول درًّا وان شئنا نظمناهُ ثمينـا
وان شئنا سلبنا كلّ لبٍّ وان شئنا سحرنا المشتهينـا

(محمّد عثمان جلال) هو ابن يوسف الحسني الوناني ولد سنة ١٢٤٥ (١٨٢٩) ودرس في صغره اللغات في مدرسة الالسن في حيّ الازبكيّـة ثم دخل سنة ١٢٦١ (١٨٤٤) في قلم الترجمة ثم انتدبتهُ الحكومة لاشغال الكتابة في وزاراتهـا الى ان استوزره توفيق باشا الخديوي واتخذهُ لصحبتهِ في رحلتهِ الى جهـات القطر المصري فكتب تأليفهُ السياحة الخديويّة وتقلّد القضاء في محكمـة الاستئناف وأُحيل على المعاش سنة ١٨٩٥ وكانت وفاتهُ في ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٩٨. وللمترجـم عدّة تآليف: نقل بعضها من الافرنسيّة كرواية پول وڤرجيني وكامثال لافونتين نظمهـا بالشعر ودعاها العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ دونك مثالًا منها وهو مثل البخيل والدجاجة

كان البخيل عندهُ دجاجهْ تكفيهِ طول الدهر شرَّ الحاجهْ
في كل يومٍ سرَّ تعطيهِ العجَبْ وهي تبيضُ بيضةً من الذهَبْ
فظنَّ يومًا انَّ فيها كنزا وانهُ يزداد منهُ عزًّا
فقبضَ الدجاجةَ المسكينُ وكان في يمينهِ سكِّينُ
وشقَّها نصفينِ من غفلتهِ اذ هي كالدجاج في حضرتهِ
ولم يجد كنزًا ولا لَقَبَه بل رمّةً في حجرهِ مريبه
فقال لا ذنبَ بأنَّ الطمعا ضيَّع للانسانِ ما قد جمعا

وكان محمّد عثمان يحبُّ اللغة المصريّة العاميّة فنقل اليهـا عدّة روايات تمثيليّة عن الشاعرين راسين وموليـار تصرّف فيها بعض التصرّف ومن ظريف شعرهِ قولهُ يمدح الحضرة الخديويّة العباسيّة سنة ١٣٠٩:

مَنْ يضاهيكَ في العلى مَنْ يُدانِي يا عزيزًا لهُ علينا يَدانِ
يدُ حكمٍ بالعدلِ لا يعتريها عارضُ الميل فهي كالميزانِ
ويدٌ في العطاء كالنيل قد فا ض بإنعامهِ على البلدانِ

ولهُ في رثاء عبدالله باشا فكري:

همامٌ علا فوق السماك بفكرهِ فمن ثمَّ سمَّتهُ الافاضلُ بالفكري
فتىً غاص في بحر المدارس رأيهُ فاخرج من حصبائهِ غالي الدرِّ
وسال غديرٌ من عذوبة لفظهِ فانضج اثمارًا على يانع الزهرِ

زها فجسهُ دهرًا بمصر فلم يَجدْ قرينًا ولكن لا امان الى الدهرِ
ثلاثُ لغاتٍ كالعرائس حازها جمشتهِ لا بالجهاز ولا المهرِ
من العرب العرباء كان اذا حكى وحرّر بالنظم البديع او النثرِ
وكان لاهل الفارسيّة لهفةٌ بملوهِ الوهبيّ يحكي ليزدجر (١
ونال بديوان المعارف رفعةً مفضّلةً من فضل زيد على عمرو
قرا اسفًا واراهُ قبرٌ ولو درى لآثر سوداء القلوب على القبرِ
وما مات ليثٌ اورث الناب شبلَهُ ولا كان هذا الناب يخلو من الزأرِ

وقد اشتهر في مصر غير هؤلاء ممّن تخصّصوا ببعض الفنون ونالوا السبق في بعض الاعمال فصنّفوا فيها المصنّفات المفيدة. منهم (محمود باشا الفلكي) ولد سنة ١٢٢٠ في مديريّة الغربيّة وتوفي في مصر سنة ١٣٠٣ (١٨٠٥—١٨٨٦) تقلّب في المناصب الخطيرة وتولّى وزارة المعارف وقد عُرف خصوصاً بتآليفهِ الفلكيّة ورسم الخرائط وضبط التقاويم التاريخيّة لاسيما العربيّة ووصف مقياس النيل ولهُ ايضاً بعض التآليف الاثريّة كرسالتهِ في الاسكندريّة القديمة وفي الاهرام وغير ذلك وقد صنّف بعض هذه التآليف في الافرنسيّة فحلّ بين علماء الافرنج محلًّا اثيرًا

ومنهم (محمّد مختار باشا) كان مولدهُ في بولاق مصر سنة ١٨٣٥ وتوفي في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٧ تعلّم في مدرسة دار العلوم وانتظم في الجنديّة وترقى فيها الى رتبة لواء سنة ١٨٨٦ وقد اشتهر في حروب السودان. وكان متضلعاً بالعلوم الفلكيّة والرياضيّة ألّف فيها عدّة تآليف بالعربيّة والافرنسيّة. ولهُ ما خلا ذلك تراجم لبعض الخاصّة كمحمود باشا الفلكي والجنرال ستون الاميركيّ وكتب في وصف بلاد السودان والحبشة وسائل حسنة

ومنهم (محمّد علي باشا الحكيم) ولد سنة ١٢٢٨ في مديريّة المنوفيّة وتوفي في الحبشة سنة ١٢٩٣ (١٨١٣—١٨٧٧). درس العلوم الطبيّة فنال منها حظًّا وافرًا الى ان تعيّن رئيساً للمدرسة الطبيّة في مصر وقد رافق سعيد باشا في رحلتهِ الى اوربّا. ولمّا انتشبت الحرب المصريّة مع الحبشة سنة ١٨٧٧ سار مع الحملة الى تلك البلاد وفيها توفي. ولهُ تآليف طبيّة في فنون الجراحة وقانون طبيّ ورسائل مختلفة

وقد اشتهر مثلهُ في الطبّ والجراحة (الدكتور درّي باشا) الذي ولد وتوفي في

١) اراد يزدجرد وهو اردشير فرخّمهُ

القاهرة (١٢٥٧—١٣١٨=١٨٤١—١٩٠٠) ودرّس في مدرسة القصر العيني وألّف التآليف المشهورة في الطبّ كتذكار الطبيب ورسالة في الهيضة. وصنّف غير ذلك ايضاً كترجمة حياة علي باشا مبارك والتحفة الدرّية في مآثر العائلة الخديويّة. وفيه قال الشيخ علي ابو يوسف الازهري يمدحهُ :

لو ثلتُ في الدهر ما ابغيهِ لم ترَني ... في مدحِ من شئت الّا ناظم الدُّرَرِ
او كنتُ ادلجتُ في المسري فليس الى ... شيءٌ يكون سوى للكوكب الدرّي
او ان ألمَّت بي الاسقامُ في زمنٍ ... لم استطبَّ سوى بالماهر الدرّي
فهو الحكيم الذي لم يشكُ ذو مرضٍ ... الّا ونادى بهِ يا كاشف الضرّ

وقد اشتهر في فن الدعاوى وعلم القوانين والرياضيّات والموسيقى الشرقية (شفيق بك) ابن منصور باشا يكن ولد في القاهرة ١٨٥٦ ومات في عزّ شبابهِ سنة ١٨٩٠ بعد ان خدم العلم مدّة بالتعليم والتصنيف. ومن تآليفهِ كتاب التفاضل والتكامل وكتاب في اصول الحساب والجبر والهندسة والهيئة ورسالة في الموسيقى. ونقل من الافرنسية بعض المؤلفات الى غير ذلك ممّا أثار الاسف على فقدهِ قبل بلوغهِ الكهولية

(البقية لعدد آخر)

لمعة تاريخيّة في اديار ماردين

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

لما كان قد اتى على تشييد دير مار افرام السرياني في ماردين خمسة وعشرون عاماً بعثت الرغبة حضرة رئيسهِ الجليل ورهبانهِ الموقرين ان يقيموا ثمة حفلة ينوّهون فيها بايامهم الاولى التي قضوها فيهِ بالنسك والعبادة فخطر لنا في هذه المناسبة ان نكتب كلمة في تاريخ الدير المذكور بعد ان نقدّم عليها لمحة في ما كان في مدينة ماردين وسناجقها من الاديار في القرون الخوالي

نشوء الاديار في ما بين النهرين

ان ما زيّن بهِ النساك بلاد المشرق من المآثر الباهرة منذ منسلخ القرن الثالث للتجسّد يستوجب شكراً وافراً وثناء عاطراً ولاسيما مقدامهم اوجين الذائع الصيت الذي بارح بريّة الصعيد واقبل بعدد وافر من الزهّاد الى بلاد ما بين النهرين فبشّروا

بالنصرانيَّة وشيَّدوا الكنائس وأسسوا الاديار وعملوا الاعمال التي لا تنفكّ الالسنة تلهج بالثناء عليها على توالي الأحقاب

ولقد طالما حاول المستشرقون انكار وجود هذا البَطَل العظيم ولكن الآثار القديمة والتواريخ الراهنة ابت الَّا ان تؤيّده وتثبته حتى لا تكاد ترى مورّخًا سكت عنه. وقد اجمعوا على انَّ اوجين مرَّ بسوريا واستصحب فئة من ذوي الورع والتقوى وانصرف بهم الى بلاد ما بين النهرين فحطّوا رحالهم بجبل الإزل فوق نصيبين حيث ألفوا مغاور وكهوفًا أووا اليها وجعلوا فيها مقامهم نحو ثلاثين سنة. وكانوا قانتين يحيون الليالي بالادعية الطويلة والتراتيل الرخيمة لا تأخذهم سنة ولا يتولاهم ضجر يحأرون الى المولى عزَّ شانه ان يمنّ عليهم بالظفر بالمحال فصحَّ فيهم قول اشعيا النبيّ (٤٢: ١١) « ليرنمّ سكان الصخرة وليهتفوا من رؤوس الجبال » وما عتَّم ان انقطع اليهم طلبة كثيرون يبتغون السير في طريقهم فناهز عددهم الثلاثمائة والخمسين وكانوا يروّضون انفسهم بالآداب الدينيَّة والعلوم الروحانيَّة تأسيًا بمقتداهم حتى بلغوا فيها شأوًا بعيدًا

ولما ان خصَّ بهم الدير خرجوا بأمر رئيسهم الى النواحي المجاورة يدعون اهلها الى الدين المسيحي فحقّق الله امانيهم حتى رأوا الناس يدخلون في دينهم افواجًا في كردستان والعراق وماردين (١ وما جاورها من البلاد وقوضوا المجوسيَّة والوثنيَّة بالكليَّة. ولما انتقل مار اوجين رئيسهم المعظَّم الى الأخدار السمويَّة في عشرين نيسان سنة ٣١٣ دفنوهُ في الدير المعروف باسمه حتى اليوم وهو بعيدٌ عن نصيبين نحو تسع ساعات غير ان هامتهُ نُقلت الى دير الزعفران قبل القرن الخامس عشر

وقد نبغ من هذه الرهبنة قدّيسون عديدون ورجال مشاهير كسوا النصرانيَّة حلل البهاء والفخر وحأوا ذكر النسك والزهد في اعين البشر كيعقوب النصيبيني وافرام الرهاوي واشعيا الحابي وملكي القلزمي ومتى الشيخ وشليطا ويارث ويوحنَّا الطاني وارلوج الضيفي وميخا النوهدري وغيرهم كثيرين وشيَّدوا اديرة عديدة في تلك الاقطار وانضمَّ اليهم قوم كثير

٣ الاديار في ماردين وجوارها

واذا رمنا ان نخصص الكلام على ماردين وضواحيها قلنا : ان رهبان مار اوجين

١) الطف سير القديسين طبع الاب بيجان (ج ٣ ص ٤٥١)

شيّدوا فيها ديرًا يُدعى دير الحمور وفيه وضع مار ابجاي وشقيقه زوقا اقاويق العلوم على لوقيان رئيسه وبرعا في كلتا اللغتين السريانية واليونانيّة ورقاهما خرسطفور مطران ماردين الى الدرجة الدياقونية بعد مضي سبع سنين ثم رسم ابجاي قسًّا بعد ثماني سنوات وتوجّه الى قيصريّة وتمطرن على نيقية. ولمّا توفي تاودوسيوس الملك عاد ابجاي بتلميذه اندراوس الى القدس الشريف وحلب ومنبج وسميساط حيث الفيا بالقرب منها جبالًا وصخورًا فشيّدا ثمّ ديرًا على ساحل الفرات سُمّي بدير السلالم ودير مار ابجاي حتى اليوم. امّا اخوه زوقا فابتنى ديرًا في نواحي ماردين عُرف بدير زوقا وانقطع اليه مع بعض الرهبان. فكنت ترى الاديرة تنشأ وتنمو كالبذار بهمّة الرهبان الذين كانوا يتسابقون ويتغايرون في ذلك

ولما دُهيت بلاد المشرق بدعة نسطور استولى اصحابها على قسم من تلك الاديار وجدّدوا غيرها وهي تنيف على المائة والاربعين ديرًا ذكرها يشوع دناح مطران البصرة المؤرخ النسطوري في مؤلفه الموسوم بكتاب العفّة او اخبار الآباء (١ الذين شيّدوا الاديار في مملكتي العجم والعرب منها دير مار شاري في جبل دارا (ص ٤٤١) ومنها كنيسة ودير في كفرتوث (ص ٤٦١ و٤٧٥ من طبعة الاب بيجان الفاضل)

وما عتمت الشيعة اليعقوبية ان ظهرت فتملّكت بقيّة الاديرة وابتنت غيرها. وها نحن نورد منها ما يأتي:

١: دير عين حلف جنوبي ماردين وقد جاء ذكره في اخبار يوحنا الافسي المؤرخ اليعقوبي في اواسط القرن السادس (ص ٢٩٤) وهو على اسم مار يعقوب

٢: دير تاردوطا شيّده تاودوطا مطران آمد بين دارا وآمد قريبًا من قرية قلوق وفيه قضى انفاسه سنة ٧١٣ (٢

٣: دير قرقفتا تربّب فيه يوحنا مطران الرقّة الذي استلب البطريركيّة سنة ٧٥٨—٧٩٠ اذ لم يزل البطريرك جورجي الاوّل حيًّا. ودرس فيه ايضًا المطران طيشاوس في عهد ديونوسيوس الاوّل التلمحري (٨١٨—٨٤٥) والمطران يوحنا في عهد باسيليوس الاوّل (٩٢٣—٩٣٥)

---

١) نشر هذا الكتاب المؤرخ الفرنسيّ شابو (Chabot) ونقلهُ الى الفرنسويّة

٢) اطلب تاريخ ديونوسيوس التلمحريّ (جزء ٤ ص ٣٠)

٤: دير مار حنانيا. وهو المعروف بدير الزعفران. وقد قرأنا في كتاب نُسخ في القرن الرابع عشر ما نصهُ: «وهذا دير مار حنانيا هو تحت دير القطرة في جنوبه عند دير قرقفتا بجبل ماردين شيَّدهُ ملك الروم. وهذا حنانيا بنى قرية قلصمرا وجدَّدها ووقفها للدير». وورد في تواريخ ابن العبري في حياة قرياقس البطريرك نقلاً عن يشوع دتاح المؤرخ النسطوري في القرن التاسع ما معناه: ان حنانيا مطران اليعاقبة ألفى بالقرب من ماردين حصناً مبنياً بالحجارة المنحوتة منذ عهد الرومانيين فاشتراه وجعلهُ ديراً وغرس فيهِ كرماً وزيتوناً... وشيَّد فيهِ كنيسةً ومذبحاً واجتمع اليهِ رهبان كثيرون اهتمّ بهم جداً بالثواب السموي. وجاء في اخبار يوحنا مطران ماردين المتوفى عام ١١٦٦ ان حنانيا الذي تطرن على ماردين وكفرتوث عام ٧٩٣ جدَّد ذلك الدير سنة ٨١١ وقطنه ثلاثة وعشرين عاماً. فقولهُ جدَّد يشير الى انهُ كان مشيَّداً قبل ذلك العهد. وعندنا ان حنانيا سالفه الذي رسم اثناسيوس الثاني بطريركاً (٦٨٤—٦٨٨) هو الذي سكنهُ قبلهُ واطلق عليهِ اسمهُ

٥: دير القطرة. كان اقدم من دير الزعفران كما قال يوحنا مطران ماردين المذكور (١

٦: دير مار آباي بالقرب من الصور وقد ذكرهُ ابن العبري في التاريخ المدني سنة ١١٥٣ في عهد حُسام الدين تمرتاش صاحب ماردين

٧: دير الشيطين في نواحي تلبسم وفيهِ تربَّى يوحنا مطران الرقة في عهد ميخائيل الاول (١١٦٧—١٢٠٠)

٨: دير مار جرجس في وادي شعبا غربي قرية شعبا

٩: دير والدة الله ومار دمط في وادي عرقا شرقي حور وعبر في بيت طيثا

١٠: دير اثناسيوس شيَّدهُ اثناسيوس الرابع السندلي (٧٥٦—٧٥٨) عند قرية تلبسم غربي ماردين وكان الاكراد يشتون فيهِ وفي القرن الثاني عشر رممهُ يوحنا مطران ماردين وحوَّطهُ بسور

١١: دير مار اسطفانس ويُدعى بكحصتا اي بكر الشهداء وهو بين قريتي بنابيل ورشمل

(١) المكتبة الشرقية للسمعاني (٢ ص ٢١٧—٢٢٠)

١٢: دير مار دانيال ويسمّى دير اجلش وهو فوق حصن رعيه

١٣: دير برصوما بالقرب من قريتي تلقبّب وبفدشيه

١٤: دير على نهر الخابور عند قريتي طابَن وسجيميه . واديرة اخرى في نواحي ماردين على ما جاء في قصّة يوحنّا المذكور

١٥: دير الابيض قرب دارا قطنهُ ميخائيل الثاني (١٢٠٧—١٢١٥)

١٦: دير مار ديمط الجديد سكنهُ اثناسيوس التاسع (١٢٠٠—١٢٠٩)

١٧: دير مار ايليا في سفح جبل ماردين الجنوبي

ويوجد اديرة عديدة غير التي ذكرناها والمشهور منها:

١: دير السمكه ويُدعى دير مار ميخائيل تحت ماردين وكان في حوزة النساطرة واليعاقبة امّا اليوم فهو بيد اليعاقبة

٢: دير مار يعقوب ودير مار عزرائيل وهما فوق دير الزعفران

٣: دير مار شمعا في الزنار في وادي الصفا

٤: دير مار قرياقس في المحلّ المذكور

٥: دير مار يوحنا في الوسكيه غربي ماردين

٦: دير مار سركيس وباخس جنوبي ماردين

٧: دير الشهيدة بربارة غربي ماردين. وهذه الاديرة الثلاثة هي في حوزة الارمن الكاثوليك

٨: دير ميناس غربي ماردين وهو اليوم ضمن دير مار افرام

٩—١٠: دير مار فثيون قرب دُنيسر. ودير هرمزد العجمي ودانيال الراهب في قلعة ارنه فوق باسبانس وكانا في حوزة النساطرة

١١—١٤: دير مار توما في جبل العنص. ودير الشحّار في كفرتوث. ودير مسار اسحق فوق دير كه. ودير مار دانيال شفيع المصروعين. وغير ذلك

امّا الصوامع التي كان يتّخذها النسّاك مأوى لهم فكثيرة ايضاً منها صومعة في المصوريّة واخرى في بنابيل وغيرها حول دير الزعفران. ولما قدم تيمورلنك الى ماردين سنة ١٤٠٦ دمّر كنائس واديرة كثيرة ولم يبقَ منها الّا ما ندر

وفي اواسط القرن السابع عشر نهض السيّد اثناسيوس سفر العطّار مطران

ماردين السرياني الشهير يريد اصلاح ما افسد الدهر ورام ان يشيد ديرًا في ماردين على اسم مار افرام فيثارة الروح غير ان الاحوال حالت دون انجاز قصده الحميد فشيَّد ديرًا في رومية سنة ١٧٠٨ وآخر في لبنان سنة ١٧٠٩ على اسم هذا القديس الجليل. وتصرَّمت الاعوام على ذلك حتى تسنم الذروة البطريركية مار اغناطيوس انطون سجيري (١٨٥٣—١٨٦٤) فنهض الى سدّ هذه الثلمة قبل وفاته بسنةٍ واحدة واشترى ارضًا واسعة الارجاء غربي ماردين وادار عليها سياجًا ريثما يتاح له بناؤها لكنَّ المنيَّة عاجلته فاستمرَّت الارض هملًا حتى ترأس مار اغناطيوس جرجس الرابع شلحت (١٨٧٤—١٨٩١)

٣ دير مار افرام

واتفق خطوات السيد اثناسيوس سفر سيادة المونسنيور افرام احمر دقنه فاخلد منذ نعومة اظفاره الى السيرة الزهديَّة واحبَّ ان يكون في مسقط راسه دير تنضوي اليه جماعة من الرهبان يحيون تذكار الرهبنة الشريف. وُلد المونسنيور افرام في ماردين في ١٦ تشرين الاوَّل سنة ١٨٤٦ وربَّاه عمه الصالح الذكر مار يعقوب متى احمر دقنه تربية حسنة ولما أينع اوفده الى مدرسة انتشار الايمان في ٣ حزيران سنة ١٨٦٣ فصرف تسعة اعوام في تحصيل الفضائل والعلوم المتنوِّعة. وفي ٢٥ اذار ١٨٧٢ رقي الى الدرجة القسوسيَّة باسم القس ابرهيم ثم عاد الى وطنه. واوَّل شيء وجَّه اليه سعيهُ استدعاؤهُ سرًّا الى غرفته بعض شبان البلدة ومفاوضتهم في امور التقى والاعمال الخيريَّة وتشويقهم الى العيشة النسكيَّة وحثهم على شرا الآخرة بالحياة الدنيا فكانوا في اثناء ذلك يواصلون الدعاء الى المولى المنَّان ليوفقهم الى بناء دير في ماردين وكان سبق فرسم بعض القوانين ليجري عليها الشأن واقام لهم مراقبًا سريًّا وظلوا على تلك الحال ثمانية اعوام

وسنة ١٨٨٠ كتب مار اغناطيوس جرجس الرابع الى السيد يعقوب متى نائبه ان يرسل احد قناته الى مذيات قاعدة طور عبدين ليشيد فيها ديرًا. فوقع الاختيار على ارسال ابن اخيه القس ابرهيم في ٢٥ حزيران فثقل ذلك على الشبان حتى هجر بعضهم العالم وانضووا الى الرهبنات الافرنجيَّة

وبعد سبعة شهور كتب القس ابرهيم الى السيد البطريرك يكاشفهُ ما في سريرتهِ ويصرّح لهُ بان الارض التي اشتراها مار اغناطيوس انطون سمحيري صالحة لتشييد دير وانه اذا صحّ عزم غبطته على ذلك اخلص لهُ نفسهُ ووقف عليهِ اتعابه ومقتناه. وما كاد يرسل تلك العريضة حتى علم ان البطريرك مصمّم على التوجه الى ماردين فتركها لديهِ ريثما يحضر

وفي غضون ذلك كتب نيافة الكردينال لسكندر فرنكي رئيس البروبغندا الى البطريرك يستنهض همتهُ ويحثهُ على اقامة دير للرهبان فصرّح البطريرك بضيق ذات اليد فوعدهُ الكردينال بالاسعاف. وسنة ١٨٨٠ اوفد الخورفسقف يوسف معمارباشي(١ رئيس دير الشرفة ويوسف افندي شلحت الى رومية لتلك الغاية فحصلا نصباً من المال وبعثا بهِ الى السيد البطريرك

فسُرَّ غبطتهُ بذلك وظعن الى ماردين في حزيران ١٨٨١ مستصحباً وكيل ارزاق دير الشرفة الخورفسقف انطون قرواني الذي لهُ إلمام بتشييد الابنية وهندستها ولمّا علم الماردينيّون هرع بعضهم الى استقبالهِ حتى دياربكر وبعضهم حتى عين عمر آغا فدخل البطريرك المدينة بآبهة عظيمة وروتق لم يسبق لهُ مثيل

وبعد بضعة ايام استشار البطريرك ذوي الخبرة في انشاء الدير ورام اولاً ان يشتري بستان الفردوس شرقي البلدة او بستان احمد اغا او بستان الشرفة ثم بدا لهُ ان ينشئهُ في ارض البطركيّة التي كان قد ابتاعها مار اغناطيوس انطون سمحيري كما قدّمنا فتمّت بذلك امنيّة القس ابرهيم وشكر للعناية الربانيّة

وفي ٢٠ تشرين الاوّل ١٨٨١ توجّه السيد البطريرك مع المطران متى وفيف الشمّاس والشعب الى الارض المخصصة لذلك فعملوا تششت العذراء ووضع يدهِ الحجارة الاولى في الزاوية الجنوبيّة الغربيّة وجعل تحتها ذخيرة من عظام ابينا مار افرام

(١ ولد الخوري يوسف معمارباشي في ١٤ شباط ١٨٦٤ وقدم الى دير الشرفة في ٣ تشرين الاول ١٨٥٨ وفي ٢١ تموز ١٨٥٩ أرسل الى رومية حيث قرأ العلوم وارتسم كاهناً. وفي ٢٢ ايار ١٨٦٩ عاد الى دير الشرفة واقيم راعياً للتلامذة. وفي ٢٣ حزيران ١٨٧٩ جعل رئيساً على الدير المذكور ثم فوّضت اليهِ النيابة على التبك سنة ١٨٨٥ وليلة خميس الصعود ٣٠ ايار سنة ١٨٨٩ توفي في ماردين على اثر فالج اصابهُ لما كان في التبك

وطفق النعلة مذ ذاك يشتغلون بمراقبة الخورفسقس انطون قرواني فشيّدوا الناحية الجنوبيّة والغربيّة والشماليّة ونصف الجهة الشرقيّة وقاعة الاستقبال

وفي ٢١ ايلول ١٨٨٢ كرّ غبطتهُ راجعاً الى حلب ووكل الامر الى نائبهِ المطران متى لاتساع رأيه. وفي اوائل نيسان ١٨٨٣ بوشر بتشييد الكنيسة ووضع الحجارة الاولى في جدارها الشمالي وذلك بهمّة المطران المذكور

وفي ٣ تشرين الثاني ١٨٨٣ صحت عزيمة البطريرك على اقامة القس ابرهيم احمر دقنه رئيساً على الدير فلبّى تلبية المطيع واخذ يسعى في تنظيف الكنيسة والغرف والاروقة والتي من الاستانة العليّة بقناديل وثريّات وشماعد وغيرها. ثم انعم السيد البطريرك على الدير ببعض الاثاث البيعيّة والاواني البيتيّة والكتب الطقسيّة وقسم يسير من الدراهم. امّا السيد هنري التاير القاصد الرسوليّ فاسعف الدير بعشرين ليرة. فصرفهما الرئيس برمتها مشكلاً على من قال: « لا تهتموا بشأن الغد فالغد يهتم بشأنه (متى ٦ : ٣٤)

وفي ٧ كانون الاوّل سنة ١٨٨٤ قرعت اجراس الدير تهليلاً وتبشيراً بافتتاحه وفي فجر اليوم الثامن انطلق الرئيس بالمبتدئين الى الكنيسة الكاتدرائيّة فشكروا للعناية الصمدانيّة ثم رجعوا الى الدير متشحين بالثوب الرهبانيّ وفي مقدّمتهم السيد يعقوب متى احمر دقنه ثم الاباء الكبوشيون وكهنة الكلدان والارمن يصحبهم جمّ غفير من الأهالي ولما وصلوا الى باب الكنيسة اخذ المطران يتلو الرتبة الطقسيّة ثم كرّسها بالماء المبارك واقام القدّاس الاوّل باحتفال شائق وبعد قراءة الانجيل تلى المنشور البطريركي المسطّر في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٨٨٤ وبعد نهاية القدّاس أُعدّت مأدبة شائقة للفيف المدعوّين. وانصرف الجميع داعين للدير ورئيسه والمبتدئين بالفلاح والتقدّم

وعند غروب ذلك النهار السعيد اجتمع الرئيس بالمبتدئين وخاطبهم بكلمات رقيقة ونشطهم على التقوى والتنافس في حفظ القانون والشكر لله عزّ وعلا لانهُ حقّق ما كانوا يتوقون اليه منذ اثني عشر عاماً

واخذ المبتدئون يحرصون على عمل الخير والصلاح ويسيرون كالرهبان الاوّلين بالاعمال الشاقة والاتعاب الوافرة محتملين شظف العيش بطيب القلب وملء الرضى ولم تأخذهم انفة من الشغل مع البنّائين كنقل الحجارة وتسوية الاراضي مع ان منهم كانوا من أُسر شريفة لم تألف الاعمال الشاقة

وفي ٨ كانون الثاني ١٨٨٦ سعى المتسدئون بتحويط ارض الدير وانتهوا في ٢٤ نيسان لتلك السنة ثم باشروا بترتيبها وتمهيدها وغرسوا فيها اشجار التين والمشمش والاجاص والعنب وغيرها ولم تتجاوز النفقات عليها الألفين والمائتي قرش. وفي ١١ حزيران لتلك السنة ايضاً اعتكفوا مدة ثمانية عشر يوماً حتى كان عيد رئيسي الرسل فأبرزوا النذور ووقعوا على صورها بخط يدهم فاضحوا رهباناً ونالوا الاسكيم من يد المطران متى واليك اسماءهم: يوحنا كدا وجرجس شمعي ويوحنا عشو والياس شمعي وحبيب قريشوع وابرهيم كرم ويوسف صوقيه وبطرس حمال وافرام حنجو

وههنا نقول كلمة في عيشتهم كانوا اول امرهم في بؤس وفاقة شديدة كما وقع لرهبان القرون الاولى في صدر النصرانية واصبح الرئيس يوماً لم يكُ عنده سوى عشرين بارة فاتاح الرب لجرجس شمعي احد الاخوة اذ كان يشتغل في الكرم ان الفى في جوف الارض قطعة ذهب صغيرة تساوي ثلاثين غرشاً فاهتما الرئيس على حاجاتهم. وحدث للاخوة مثل ذلك في اسبوع الآلام. فلما كان الرئيس حائراً بامره تقدمت اليه امرأة ورعة واودعت لديه خمماية غرش قائلة أبقها لديك واصنع بها ما تشأ. ولما رأى الناس ذلك انذهم اليأس من نجاح الدير حتى انهُ كان يُقال ان السريان سيضطرون عما قيل الى ايصاد ديرهم. لكن العناية الالهية كانت ترمقهُ بالحاظها

ولم تكن الاقامة بالدير اقل مشقة لكثرة الرياح والاهوية المتسلطة عليه فكان فيه اربعة وعشرون رواقاً معرضة للاهوية والامطار والثلوج وكان الاخوة يشعرون بالبرد القارس والحر اللافح وهم مضطجعون. حتى ان الثلوج كانت تمنعهم عن مبارحة حجرهم فضلاً عن ان موقعه على قمة الجبل كان يزيد الحال من البرد والعواصف

فاستمر الرهبان على ذلك الاسلوب حتى سافر المطران متى في ١١ حزيران سنة ١٨٨٨ الى حلب ودير الشرفة ليحضر المجمع الطائفي. فاطلع غبطة البطريرك على ذلك كله فتحنن على الاخوة ووهبهم خمساً وعشرين ليرة ومقداراً من القزاز لسد الاروقة فصرف الرئيس ذلك المبلغ واستقرض غيره من ذوي الشفقة والرحمة حتى هان على الاخوة السكنى في الدير

المنسنيور افرام احردقته

رئيس دير مار افرام للسريان الكاثوليك بماردين

ومما يجدر بالذكر ان ثلاثة من العَمَلة بينما كانوا يشتغلون هبطت بهم الاخشاب فسقطوا على الارض دون اذًى وجرى مثل ذلك مرّة اخرى فاقتدهم الربّ بشفاعة ابينا مار افرام. وفي ١٩ اذار ١٨٨٨ انقضّت صاعقة على زاوية الدير الغربيّة وفاحت منها رائحة كبريتيّة كريهة بيد انها لم تحدث والحمد لله ضررًا مع ان دوابّ الدير قطعت السلاسل وهاجت وماجت فحاق الرعب بقلوب الاخوة ولاسيما يوسف هافوري. فحرستهُ العناية الربانيّة وانقذتهُ ولفيف الاخوة من تلك التهلكة

ولما استلم ازمّة البطريركيّة الانطاكيّة مار اغناطيوس بهنام الثاني ١٨٩٣–١٨٩٧ اخذ المطران متى يستنهض همة رئيس الدير على طلب الاسعاف من البطريرك المغبوط الموصوف بالسخاء والجود على عمل الخير فانعم عليهِ بمبلغ به شيّد حصن الدير ومهّد فناهُ واقام لهُ بابًا خارجيًا واروقة بحيث امكن ان يُطلق عليهِ اسم دير. واصبح طولهُ اثنين وستين مترًا وعرضه ثلاثة وخمسين مترًا ويكتنفهُ من الناحية الغربيّة كرم واسع الارجاء واشجار باسقة. وفي الناحية الشرقيّة منهُ موضع لاقامة طابق ثانٍ

وكان الدير محطّ رحال بعض الضبّاط والعساكر عام ١٨٩٥ فردعوا الاكراد وقبائل العرب وصدّوهم عن الهجوم على البلد. وجعلوا مثواهم في الدير منذ ٨ تشرين الثاني سنة ١٨٩٥ حتى ١٢ شباط سنة ١٨٩٦ حيث استتبّت الطمأنينة في افئدة الاهالي فعادوا الى مراكزهم

ولما عاين آباء الطائفة همّة الرئيس وعنايته راموا ان يكافئوهُ عن اتعابهُ فسّاه مار اغناطيوس جرجس الرابع خورفسقس باسم افرام عام ١٨٧٤ وأنعم عليهِ مار اغناطيوس بهنام الثاني عام ١٨٩٢ بلبس التاج وملك العكّاز كسائر رؤساء الاديرة. وسعى الاخوة الاقرامّيون سنة ١٨٩٧ باحتفال العيد الفضيّ لمرور خمس وعشرين سنة على قسوسيّتهِ وكان حضرة الخورفسقس يوسف اسطنبولي اكبر مساعد في ذلك ومثّل في هذا المعنى رواية بديعة. ثم كتب الاخوة الى مطارنة الملة فاهدوا اليهِ تحفاً تذكر وقدّموا تقريظًا انهُ حبس حياته وكل ما لهُ في احياء روح الرهبانيّة غير مبالٍ بالعناء والتعب وشق النفس

وهو الذي تولى بذاتهِ تعليم الاخوة وتخريجهم على المبادئ العلميّة والدروس اللاهوتيّة. وقد ذاق ثمرة اتعابه اولًا برسامة ثلاثة من الاخوة قسًّا في ١ تشرين

الثاني ١٨٨٩ وهم القس جرجس شمعي والقس ابرهيم كرّوم والقس بطرس حمّال. وقرّت عينه في ١ تشرين الثاني ١٨٩٢ بارتقاء اربعة قسّان ايضاً وهم : القس الياس شمعي والقس فيلبس قريشوع والقس افرام حجو والقس حنّا زلّو . وازداد سروره برسامة قسين آخرين في ٢٩ كانون الثاني ١٨٩٩ وهما القس سمعان عبد الصمد والقس انطون عبد الصمد . وناله تعزية ايضاً بمشاهدته رسامة قسين ايضاً في ١٤ ايلول سنة ١٩٠٥ وهما القس حبيب قراكه والقس بولس قسطن . وقد تفرق هؤلاء القسّان بامر غبطة السيّد البطريرك في البلدان وصنع الرب على يدهم خيراً كبيراً

وفي ٨ كانون الاول للسنة المنصرمة كتب سيادة الونسنيور افرام احمر دقنه الى غبطة السيّد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني يبشره بدخول العام الخامس والعشرين لانشاء الدير ويخبره ان الاخوة معوّلون على احتفال عيد عظيم في ذلك اليوم فيه يتذكّرون نعم الله جلّ وعلا ويأخذون روساً جديدة للسير في عمل الخير بنشاط اوفر فسرّ السيّد البطريرك وكتب الى الرئيس يحثّه على ذلك

ونحن نشاطر الرئيس الجليل وقسّانه الافاضل ورهبانه الورعين افراحهم ونتمنّى لهم التقدّم والفلاح ونودّ في هذه الاثناء لو صُرفت الوجوه نحوهم ونالوا الحظوى لدى الكرسي الرسولي المقدس باعتراف جميتهم هذه كهيئة قانونيّة كسائر الطوائف الكاثوليكيّة فانهُ بذلك يطرّق جيد الطائفة بالمنن العظيمة والنعم الجسيمة

نسأله عزّ شأنهُ ان يرمق هذه الجمعيّة بعين الرأفة والحنوّ . ويرقيها في معراج الفلاح والنموّ . ويؤتيها الايد لتأتي على كمال نهضتها . ويوليها الفوز والنصر روحياً وزمنياً في سائر مشروعاتها . انهُ على كل شيء قدير

مصالح دول اوربة على ساحليّ البحر الاحمر

لمعة تاريخية بقلم الكافليير عبدالله رعد
سر اجزاني البلاط الامبراطوري في الحبشة

كنت قد وعدت حضرات القرّاء ان اواصلهم بعد عودتي الى الوطن العزيز بتتمة ابحاثي عن الحبشة والاحباش الّا انني قبل ان اقوم بوعدي هذا خطر ببالي بمناسبة مروري في البحر الاحمر ومرأى مستعمراته ان اكتب شيئاً عن مصالح دول اوربّة على جانبيّ هذا البحر مُرجئاً العَود الى الابحاث الحبشية الى حين آخر ان شاء الله. فالتابع للمتابع

*

اربع دول اوربيّة عظيمة انكلترّة وفرنسة وايطالية والمانية اقتسمت ساحلي البحر الاحمر حصصاً غير متساوية وقد اجتذبتها الواحدة بعد الاخرى من قديم الزمان مصالح متفاوتة فكنتها في نقط مختلفة من هذه السواحل حتى صار لبعضها اليوم مستعمرات زاهرة وللبعض الآخر نقط حربيّة. اما اهميّة هذه المستعمرات فتختلف كاختلاف مصالح الدولة المحتلة: منها السياسية ومنها الحربيّة ومنها التجاريّة ومنها الدفاعيّة الى غير ما هنالك من المقاصد التي لم يزل اكثرها سرّاً مكنوناً في صدور رجال الحكومات

لم تكن الدول الاوربية لتكترث كثيراً بمنافع هذا البحر وسواحله قبل حفر قناة السويس ما خلا انكلترّة التي كانت بواسطة كنف فتوذها اسساً لا فعلاً على بعض النقط ولما فُتحت للعالم تلك الطريق الجديدة طريق الشرق الاقصى اضحى من الضروري ان تحتلّ الدول نقطاً تحفظ بواسطتها جادة المستعمرات التي لها وراء باب المندب على اطراف المحيط الهندي ولتأمن وجود المؤن والفحم لبواخرها. فقامت اوّلاً انكلترّة وخطت الخطوة الاولى ثم تبعتها فرنسة بعد كثير من التردّد والاحجام واخيراً سرت بمجراهما دولة الطليان الى ان نهضت في هذه الايام الاخيرة المانية ومدّت لها اصبعاً الّا

ان الوقت قد فات فلم تستطع الامتداد (١)

لم تكن صوالح انكلترة وفرنسة بادئ بدء سوى صوالح تجارية محضة ولكنها ما عتمت ان امست سياسية تتعلق عليها اهمية كبرى اذ ان الاولى منهما لما احتلت مصر وباتت قناة السويس طوع بنانها طمحت بابصارها الى هذا البوغاز المؤدي الى بلاد سلطنتها الشرقية اريد به البحر الاحمر ولم يسعها ان تنادره عرضة احتلت غيرها من الدول خشية ان تعرقلها في طريق الهند والزنجبار وموريس التي كانت في قبضتها . اما فرنسة فلما شعرت باغلاطها السياسية ورأت فاذا مصر والقناة سقطتا من حوزة نفوذها رجعت الى نفسها وطارت جزعاً على بلاد سلطنتها في الشرق الاقصى وقامت تبغي التعويض عما فات فطلبت لها نقطة تأمن بها غوائل الانكليز وشر حيلهم وتستعين بها على ادخار المؤن والفحم لاسطولها فيما لو نشبت حرب في الشرق الاقصى خصوصاً وانها رأت ما رأت من خشونة معاملة المستعمرات الانكليزية لاسطولها يوم انتشبت الحرب في الصين والتونكين مع ان الدولتين كانتا يومئذ على اتفاق في الاراء السياسية بخصوص تلك الاصقاع فكيف يكون اذا لم تحصلها الغايات والصوالح والسياسة . هذا عدا عن ان مستعمراتها مدغشكر والهند الصينية والتونكين والانام بحاجة ماسة الى نقطة متوسطة بينها وبين امها فرنسة تستعين بها على انزال عساكرها الى البر عند ما يرجعون مرضى من تلك الاصقاع الوبيئة . اما ايطالية فان مطامعها في شرق افريقية قد ازدادت بقدر تقدم هذه الدولة في العظمة والغنى فطلبت لها استعماراً على سواحل البحر الاحمر

ولم يكد الامر يتم لهاته الدول الثلاث وحلت كل واحدة منها نقطة مختلفة من

---

(١) يعلم الجميع ما كانت عليه سياسة المانية مع السلطان عبد الحميد المخلوع وهذا وهبا جزيرة صغيرة يقال لها « الكومة » هي واحدة من جزره « فرسان كبير » موقعها في اواخر البحر الاحمر بين مصوع والحديدة فجعلتها محطة لفحم بواخرها وبنت عليها منارة جميلة ثم حصنتها ببعض المدافع . وقد قال بعضهم — والقول فيه نظر — ان حلول المانية في هذه النقطة هو ناقض وقيد لغايات أخرى . الا ان هذا الطمع قد زال واضمحل بافضل حلول الحكومة الدستورية مكان الحكومة الاستبدادية وخلع السلطان عبد الحميد الذي كان ملجأ السياسة الالمانية القديمة مع الدولة العثمانية وقوي مطامعها

سواحل هذا البحر بحر المطامع والغايات حتى زادت في المطامع فمكنت لرجلها في مستعمراتها واستولت على غيرها فاحتلّت نقطاً جديدة وحصّنتها وما زالت الى اليوم في شغل شاغل وحرب متواصل مع الوطنيين سكان تلك المجاهل . واهمّ هذه الاسباب هو ان افريقية الغربية والمتوسطة قد تمّ اقتسامها وتحصصت املاكها بين الدول فوضع الانكليز ايديهم على النيل في اعالي مجاريه الّا ان قطعة من الارض يجري فيها هذا النهر وبقيّة الانهر العظيمة التي تصبّ فيه بقيت كحجر عثرة في الاملاك الحبشية المستقلة ولذلك قامت انكلترّة تريد الاستيلاء على هذه القطعة باي واسطة كانت بالسيف ام بالدرهم ام بالتهويل ام بالوعد او الوعيد ام باي ضرب من ضروب السياسة وعندها ان الغاية تبرّر الواسطة ولكن فاتها ان الله مع الضعيف فلم تنجح وقد لا تنجح على انها لا تزال معلّلة النفس في الحصول على هذه الغنيمة فاذا فازت اصبحت السيّدة المطلقة في كل شرق افريقيّة وجرّت تجارة تلك الاصقاع فاحتكرتها في موانيها البحريّة وضربت بقيّة المستعمرات ضربة قاضية

وهناك سبب آخر هام يبعث الى المطامع وهو ان ساحل البحر الاحمر من الجهة الاسيوية اعني بذلك شبه جزيرة العرب باجمعها وهي الحجاز واليمن ونجد والعراق وحضرموت الخ يضمّ بلاداً داخليّة خصبة في كثير من قطعها وقد مدّ اليها الانكليز الاعناق في كل آن وزمان واثاروا فيها الفتن وما قصدهم بذلك الّا انهاكها بالحروب الداخلية والفتن ليسهل عليهم سلخها عن الاملاك العثمانيّة ويجعلوا لهم فيها مركزاً لقوّة عسكرية هائلة ونقطة تجاريّة مهمّة

هذه وغيرها من الاسباب التي يطول بنا المقام لو اردنا تعدادها قد امدّت في صدور الدول الاوربيّة الطمع فقادتها الى الاحتلال وقد ساعدتها الظروف على ذلك فتمكنت ومن هذه الظروف ما قادتها التقادير ومنها ما كانت نتيجة سياسة متابعة وخطة مرسومة . وهكذا اصبح البحر الاحمر كلّه من جهة افريقيّة في قبضة الافرنج اما ساحله الاسيوي فلم يحتلّوا فيه احتلالاً متيناً الّا جهة خليج عدن والجزائر القريبة منه

*

قبل ان تحتل الدول الاوربية ما احتلّته من سواحل البحر الاحمر كانت الدولة العثمانية هي المتملكة على السواحل كلها الى ما وراء بوغاز باب المندب الّا ان الضعف

الاداري نتيجة الاستبداد قد جعل سلطتها اسماً بلا مسمًى فلم تكن متمكنة مطاعة في ما خلا جهة واحدة من الساحل الافريقي وذلك من سواكن الى مصوع اي ساحل « اركيكو » يمتدّ من جهة الجنوب خليج زُولا (وهي ادوليس القديمة) . وكان لها عدا ذلك شيء من السلطة على مدينة زيلع وما جاورها في ساحل الصومال . اما بقيّة هذا الساحل الافريقي فمن خليج ادوليس المذكور الى قبة الخراب تمتدّ بلاد الدناكل التي كانت ولم تزل داخليتها الى اليوم خاضعة اسماً لا فعلاً لسلطة نجاشي الحبشة وحاكمها الحقيقي كان سلطان للتوسي . ومن قبة الخراب الى راس غاردافوي يمتدّ ساحل الصومال الذي كان يحكمه روساء القبائل كلٌّ في ارض قبيلته

واوّل من اهتمّ بهذا الاحتلال دولة الانكليز اذ ان طريقها الى الهند البريطانيّة كانت بعيدة جداً ولم يكن يومئذٍ لبواخرها سوى طريق رأس الرجاء الصالح ففكّر احد الضباط الانكليز واسمهُ واگورن (Waghorn) ان يستعمل طريق مصر لتقصير بريد الهند واخرجت الحكومة فكره هذا الى حيّز العمل سنة ١٨٢٩ فكانت تستعمل المهجين لهذه الغاية . فيذهب البريد من الاسكندريّة الى السويس فيجتاز البرزخ الى الجهة الاسيويّة فيجوز في شمه جزيرة العرب حتى خليج فارس والهند . ونهجت شركة بواخر بنارس وباليبور (Bénarès et Palinure) خطة جديدة لبواخرها في البحر الاحمر بين الهند وخليج السويس وقد اقامت اول باخرة ذاهبة الى هذا الخليج سنة ١٨٣٠ تحت امرة القبطان موريسبي (Moresby) واحتلت يومئذٍ ميناء المخلة (١ فجعلتهُ محطة للفحم ثم احتلت بعده جزيرة سقطرة لهذه الغاية

وفي سنة ١٨٣٦ حضر يقتلون البريد على العربات بدل المهجين من مصر الى السويس ومن هناك تحمله البواخر الى الهند بمواقيت منتظمة وما زالت هذه الطريق مطروقة حتى سنة ١٨٥٧ فمدّت السكّة الحديديّة من مصر الى السويس وقُضي على الطريق الاولى الدائرة حول افريقيّة مارّة برأس الرجاء الصالح . وفي اثناء ذلك اي سنة ١٨٣٩ غادر الانكليز موقتاً جزيرة سقطرة وتمكنوا في مدينة عدن التي اخذوها من

---

١) بلدة على البحر الاحمر من الجهة الاسيوية تبعد عن عدن نحو ٩٠ ميلاً

سلطان لحج (١ وسنة ١٨٤٠ احتلوا جزيرتي باب وايوات ثم جزائر موسى الصغيرة القائمة قرب خليج تجرّة

وكانت دولة فرنسة في كل هذه المدّة تنظر الى عمل انكلترّة بعين الحسد وهي ايضاً تفتش على نقطة تحتلها في سواحل البحر الاحمر الّا انها كانت كعادتها متقلّبة في ارائها لم تنجح نجاح جارتها البريطانية وفي سنة ١٨٣٩ — ١٨٤٠ بعثت احد ضبّاط بحريتها المسيو ليفڤر (M. Lefèvre) الى الراس اوبة ملك التكّره في الحبش فعاد وقد رقّم مع الملك المذكور باسم حكومته على صكّ معاهدة به سلّم هذا الملك لحكومة فرنسا الساحل البحري الذي كان تحت امرته وهو جزء من بلاد الدناكل على شاطئ خليج لمفلة . الّا ان فرنسا تردّدت في التصديق على هذه المعاهدة فبقيت حبرًا على ورق وكذلك قل من المحلات التي ابتاعها بعض التجار الافرنسيون من رؤساء القبائل الدنكالية ولضحى امر هذه المعاهدة التجاريّة نسيًا منسيًا وقد كان امضاها المسيو ريشه دي اريكور (Richet d'Héricourt) باسم الملك لويس فيليب سنة ١٨٤٣ مع سهلاسلاسيه ملك الشوا جد النجاشي منليك الثاني امبراطور الحبشة الحالي. وهذا تعريب تلك المعاهدة عن نصّها الفرنساوي والحبشي نقلًا عن سجلات سفارة فرنسة في اديس ابابا :

« بالنظر للمحبة المتمكنة بين اصحاب الجلالة لويس فيليب ملك فرنسة وسهلاسلاسية ملك الشوى وبالنظر لتبادل الهدايا بين هذين الملكين بواسطة المسيو ريشه دي اريكور المأمور على اوسة الاشراف في مملكة الشوا قد شاء الملك سهلاسلاسيه ان يرتبط مع ملك فرنسة بهذه المعاهدة الولائية التجارية :

المادة الاولى — بما ان اهالي فرنسة واهالي الشوا يدينون بديانة واحدة فان الشوا يأمل من

---

(١) في شهر كانون الثاني من سنة ١٨٣٦ تسلطت على مقربة من عدن احدى بواخر الانكليز الآتية من مدراس فنهبها القرصان العرب هناك . وقعت المخابرة في امر هذه الباخرة بين حكومة الهند وسلطان لحج مدة ثلاث سنين من دون ان تسفر عن نتيجة مرضية لان حكومة الهند لم ترضَ قبول التعويض المالي بل طلبت ان تحتل جزءًا من الساحل فانكر عليها سلطان لحج طلبها هذا الغير العادل . حينئذٍ ارسلت الحكومة الانكليزية جيشًا مؤلفًا من ٧٠٠ مقاتل و٣ مراكب حربية تحت امرة القبطان بايي (Baillie) فاخذوا عدن عنوةً واقتدارًا ودخلوها في ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٣٩

دولة فرنسة ان تعتبر اعداءه اعداءها وان تساعده فيما لو نشبت حرب بينهُ وبين المسلمين او سواهم من الاقرب

المادة الثانية – جلالة لويس فيليب ملك فرنسة وحامي اورشليم يتعهد بان يضع تحت حمايته هموم الزوّار الذين يذهبون من مملكة الشوا الى بيت المقدس وبقية الاراضي المقدّسة ويأمر وكلاءهُ كي يعاملوهم بنفس المعاملة التي يعاملون بها الرعايا الفرنساويين وان يحموهم في ذهابهم وايابهم وفي مدّة مكثهم ضد غارات وظلم الخوارج

المادة الثالثة – ان ملك الشوا يتعهد بان يعتبر الرعايا الفرنساويين الموجودين في مملكته اعتباره لرعاياه ويكون لهم عدا ذلك كل حق وامتياز يمنحه لغيرهم من الاجانب

المادة الرابعة – البضائع الفرنسوية الداخلة الى مملكة الشوا تدفع رسوماً جمركية بالمائة ثلاثة فقط . وحق لا تصير مخاصمات في تعيين اثمان البضائع فان مأموري جمارك مملكة الشوا يقبلون عيناً رسوم كل بضاعة يُختلف في تعيين ثمنها

المادة الخامسة – عموم الرعايا الفرنسويين يُسمح لهم بحريّة الاتجار في كل انحاء مملكة الشوا بلا مانع

المادة السادسة – عموم الرعايا الفرنسويين النازلين في انحاء مملكة الشوا يمكنهم ان يبتاعوا الاملاك والاراضي وان يبنوها ويشيدوها كلٌّ حسبما يراهُ موافقاً لصوالحهِ . ويستطيعون ان يبيعوا هذه الاملاك او يتصرّفوا بها حسبما يشأون . وحرية تملك هذه الاملاك تكون مضمونة من ملك الشوا نفسه

حرّر هذا الملك نسختين في مدينة انكولالا في السابع من شهر حزيران سنة الف وثمانمائة وثلاثة واربعين

التواقيع

ربشه دي اريكور

سهلاسلاسه ملك الشوا — باسم جلالة لويس فيليب ملك فرنسة وبامره

وبقيت الاحوال في تلك الاصقاع تتقلّب ببطء حتى كانت سنة ١٨٥٤ التي بها ظهرت خطة المسيو دي لسبس الشهير في حفر قناة السويس وكادت تخرج هذه الخطة من حيز الفكر والخطوط على الورق الى حيز العمل وضرب المعول لولا انَّ مضادّة الانكليز أخّرت هذا المشروع فارجئ العمل الى حين آخر وذهب المسيو دي لسبس الى فرنسة فالّف في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٥٨ شركة اكتتب بها كثير من الفرنسويين وغير الفرنسويين ثم عاد الى مصر منتصراً على معاكسيه فشرع بضرب اول معول باحتفال عظيم في ٢٥ نيسان سنة ١٨٥٩ وفي ١٨ تشرين الثاني سنة

١٨٦٢ دُشنت اول قطعة من هذه القنـاة من البحر المتوسط الى بركة التمساح . الا ان صعوبات كثيرة جديدة لا يسمح لنا ضيق المقام بذكرها حالت دون سرعة اتمام العمل فبقي الحفر مستمرًا تارةً ببطء واخرى باسراع حتى تمّ المشروع بكاملهِ وكان يوم التدشين حافلًا والمهرجان ظليماً في ١٧ تشرين الثـاني من سنة ١٨٦٩

*

عندما افتتحت هذه الطريق الواصلة بين اوربة وبين الهند والشرق الاقصى انقلبت سياسة الدول باجمعها وزادت مطامعها في البحر الاحمر والمحيطَين الهندي والاطلانتيك الّا ان انكلترة لم تنتظر افتتاح قناة السويس كي تحتلّ ما تريد احتلاله في سواحـل هذا الدهليز العظيم المؤدي الى سلطنتها في مـا وراء باب المندب فاستولت حالًا على جزيرة پريم تجاه اليمن سنة ١٨٥٧ وهذه الجزيرة كان البوكرك (Albuquerque) قد سبق في سالف الزمن ونصب فيها العلم البرتغالي سنة ١٥١٣

اما فرنسة فقد فهمت ايضاً حينئذٍ اهمية احتلال نقطـة ما على طريق مستعمراتها في الهند الصينية والمحيط الهادئ وخصوصاً عندما تمكنت قدمها في مدينة سايغون الّا انها باغلاطها السياسية وبطء معاملات حكومتها فاتتها جملة فرص منها ان القومندان روسل امضى معاهدة مع الرئيس نكوسيه ملك تكغره بعد مساعدته اياه في مقاتلة رئيسه الامبراطور ثيودورس فاقطعه خليج ادوليس وجزيرة ديسي سنة ١٨٥٩ الّا ان الحكومة الافرنسية لم تسرع شأنها بالماضي بالمصادقة على هذه المعاهدة واحتلال البلاد التي اقطعها اياها الامير الحبشي ونسيت ان جارتها البريطانية واقفة لها بالمرصاد فاغتنمت هذه فرصة اهمال فرنسة واحتلت تلك الجهة . فاستنزلت اخيرًا الحمية المسيو لامبير (Lambert) قنصل فرنسة في عدن واراد ان يخدم دولتهُ خدمة جليلة فخاطر بحياته وذهب الى داخلية بلاد الدناكل وتخابر مع رؤساء القبـائل وابتاع منهم أبخ وما جاورها من رأس ضُميرة الى رأس علي بمبلغ عشرة الآف ريال وهـذه ايضاً كادت ان تفلت من يد فرنسة لانها بقيت اربع سنين تتردّد قبل ان تحتلها سنة ١٨٦٢ لكن المسيو لامبير لم يرَ بأم رأسه ثمرة اتعابه هذه فانهُ قُتل بينما كان ذاهباً في زعيمة شراعية من عدن الى تجرّه لمخابرة رؤساء القبائل في امر هـذا الاحتلال . واليك

تعريب نصّ المعاهدة التي صادقت عليها حكومة فرنسة عند احتلالها لمستعمرة أُبُخ نقلًا عن سجلات ولاية جيبوتي الافرنسية

معاهدة ١١ اذار سنة ١٨٦٢ مع مشايخ القبائل

بتاريخه تمّ الاتفاق بين الوزير سكرتير الدولة في النظارة الخارجية وديني احمد ابي بكر بالوكالة الشرعية عن السلطان محمد بن محمد والسلطان ديني كولو عثمان وعلي ابرهيم ابي بكر الشهم والسلطان لوعيتا رؤساء قبائل الدناكل المدّليين والدبنّيين على ما يأتي بيانهُ وهو:

المادة الاولى — يكون سلام دائم ومحبة متمكنة بين جلالة نابليون الثالث امبراطور الفرنسويين وخلفائهِ من بعدهِ وبين قبائل الدناكل المقيمين في السواحل المدّلية

المادة الثانية — رؤسا الدناكل وخصوصاً السلطان ديني يقطعون جلالة الامبراطور مدينة أُبُخ وعموم الموانئ البحرية والاحراض التابعة لها من رأس البرّ الى رأس علي جنوباً والى رأس الضميرة شمالًا

المادّة الثالثة — ثمن هذه الاراضي قد عيّن بالاتفاق بين الفريقين عشرة الاف ريال اي خمسين الف وخمسماية فرنك

المادّة الرابعة — دفع هذا المبلغ يكون هكذا: النصف الاوّل عندما يصادق الرؤسا المشار اليهم على هذه المعاهدة ويوقعون عليها والنصف الآخر بعد مضي ثلاثة اشهر من تمام احتلال هذه الاملاك باسم جلالته الامبراطورية

المادّة الخامسة — ان رؤساء جميع القبائل الدنكلية وهم السلطان محمد بن محمد والسلطان ديني كولو عثمان وعلي ابرهيم ابو بكر الشهم والسلطان لوعيتا رؤساء المدليين والدبنيين الذين وكلوا منهم ديني احمد ابا بكر وكالةً شرعية يضمنون ويكفلون سويةً تسليم هذه الموانئ التي اقطعوهـا لحكومة جلالته الامبراطورية

المادة السادسة — هؤلاء الرؤساء الموما اليهم يتعهدون سويةً وكل واحد بمفرده ان يسهلوا كل ما يوسعهم لتسهيل معاملات الفرنسويين النازلين أُبُخ مع داخلية البلاد برًّا وبحرًا ويساعدونهم على ركوب ضري حاسو واواش للوصول الى الجبال الحبشية ويسمحون لهم ان يأخذوا حاجاتهم من خشب الاحراج ومياه الابار والينابيع الكائنة في جوار أُبُخ وتوابعها. وكذلك يتعهدون بان يتفقوا مع هؤلاء القرالة على بناء خزانات وبجامع للمياه بدون ان يتطلّبوا ثمنًا من الاراضي التي يشغلها هذا البناء

المادّة السابعة — يستطيع القرالة الافرنسيون الساكنون في أُبُخ ان يرسلوا مواشيهم مع الرعاة الى امبابر وجبل تجُرّه وحسّاز بله وابلو قرب رأس جيبوتي من دون ان يكون لهم ادنى مباغة او يُطلب منهم رسم عن ذلك

المادّة الثامنة — يستطيع الفرنساويون ان يأخذوا ما شاؤا من الملح من بركة السـل ومن جهات أُخرى حيث توجد الملاحات بلا مباغة اصلًا ولا طلب تعويض ما

المادة الثامنة — يتعهد رؤساء الدناكل تعهداً ثابتاً ان يُطلعوا الحكومة الفرنساوية في أُبخ على كل مخابرة تأتيهم من قبل الحكومات الاجنبية بقصد شراء او اخذ ارض في اي جهة كانت من اراضي قبائلهم. وهم يتعهدون منذ الان سوية وكل واحد بمفرده ان يردّوا كل مخابرة جدّا الشأن لم ترضَ بها حكومة جلالة امبراطور الفرنسويين

حُرّر في مدينة باريس في الحادي عشر من شهر اذار سنة الف وثمانمائة واثنتين وستين

التواقيع

توفنيل (Thouvenel) ديني ابن السلطان محمد حامد بن المرحوم السلطان محمد

الوزير محمد ابن السلطان حامد

الامير الهادي ابو بكر ابراهيم الشهم

مادّة اضافية — اذا ظهر عند الاحتلال ان بناء أُبخ وحوضها لا يصلحان لوقوف البواخر الكبيرة ذات المحمول الثقيل فان ديني احمد يتعهد من اليوم باسم الشيخ علي ابرهيم ابي بكر الشهم وباسم بقية الرؤساء والمشايخ ان يبدل بنفس الثمن البناء المذكور في المادة الثالثة من هذا الصك ببناء قبة المراب او ببناء غيره مع كل ملحقاته وتبقى بقية الشروط مسموحاً بها بدون تغيير حُرر في باريس في ١١ اذار سنة ١٨٦٢

يلي ذلك التواقيع المسطرة اعلاه (لها بقية)

ثمرة شهية لمدرستنا الاكليريكية

الكاهن العبد دانيال سرور

توطئة

يذكر تلامذتنا القدماء عبداً اسود تلقى الدروس العالية في المدرسة الاكليريكية اللاحقة بكليتنا فاقام فيها عدداً من السنين كان في مدتها مثال التقوى والنيرة والنشاط والذكاء. ولما انجز الدروس الفلسفية واللاهوتية رُقّي الى درجة الكهنوت فمُلئت عليه الآمال الكبيرة. لكن احكام الله الغامضة بلتهُ بمرض عضال اودى بحياته وهو شاب في مقتبل العمر. وقد طلب الينا كثيرون من المحافظين لرفيقهم الطيب ذكر ان نورد ترجمة حياته فلبّينا الطلب ونقلنا عن المجلة السنوية التي تصدرها المدرسة الاكليريكية ما جاء بشأنه آملين ان تكون هذه التذكرة تفكهةً للقرّاء ومثالاً عجيباً لمراحم الله عزّ وجلّ ا.ر

كان دانيال سرور من العبيد ومن قبيلة الدنكا المقيمة على ضفتي النيل الابيض ولما لن اسعده الحظ بمقابلة السيد كومبوني توسم هذا فيه خيرًا وعلق عليه آمالًا كبيرة اخصها مساعدته على نشر بشارة الانجيل الطاهر بين مواطنيه. ولهذا وطّن عزيمته على الاعتناء به والاهتمام بامره فارسلهُ اولًا الى مدرسة فيرونه ثم الى مدرسة انتشار الايمان المقدّس في رومية. غير ان مرضًا اعتراه هناك اضطر السيد سوغارو خليفة السيد كومبوني الى ارساله الى بيروت لينجز دروسهُ في مدرستنا الاكليريكية فجاءها وهو في العشرين من عمره وقد وصفهُ احد المرسلين قال: «هو طويل القدّ رشيقه اسود البشرة جميل المنظر رغمًا عن فطس انفه وغلظ شفتيه مجعد الشعر قصيرهُ تلوح على وجهه ملامح الوداعة مقرونة بحشمة ورزانة تفتح لهُ سريعًا باب القلوب..»

ولما لن دخل دانيال في مصاف طلبة مدرستنا الاكليريكية احبَّ حضرة مديرها لن يقف على ماضي تلميذه الجديد فرغب اليه ان يسطر لهُ تفاصيل حياته الماضية فعمل دانيال مدفوعًا بعامل الطاعة لرئيسه وهاك ما كتبهُ:

« ولدتُ في افريقية الوسطى من قبيلة الدنكا التي تنتمي الى عشيرة الجيورجس المستوطنة ضفة النيل الابيض ونهر الغزال الشمالية ولم يكن لابويّ دين يدينان بهِ ولم يكونا على شيءٍ من التمدُّن ولهذا كانت تربيتهما لي مقتصرة على العناية بالجسد خالية من الاهتمام بالآداب

وفي التاسعة من عمري بليت بفقد والدي فتزوَّج اخوهُ بامي حسب عادة البلاد لكنه ما لبث ان مات هو ايضًا واضطرت والدتي المسكينة ان تقوم وحدها باعباء العائلة وبأود بنيها وابنت كانت قد تبنتها وكنت ادعوها اختي

وبينما كنَّا امنين ونحالنا بمعزل عن غدرات الزمان وطوارق الحدثان اذ بالعربان ألدّ اعداء العبيد قد انقضوا على قريتنا المسمَّاة «مارين» ولا انقضاض العقبان واختطفوا قسرًا من كوخنا الحقير العزيز لدينا واقتادونا اسرى الى مدينة «العُبيد» قاعدة الكوردفان بعد ان اوسعونا شتمًا واهانة وضربًا مبرِّحًا. والذي حدا بالعربان الى مثل هذه الفعلة ليس البغض ولا القساوة بل انما هو حبهم المفرط للربح فكانوا يؤملون ببيعنا بيع الحيوانات او اقله اتخاذنا عبيدًا لهم واستخدامنا في اشغالهم الشاقة

واني الى الان تعروني القشعريرة كلما مرَّ بخاطري مشهد سوق العُبيد حيث كان

اولئك القلائل الاكباد المتاجرون ببني الانسان يفرقون بين الاب وبنيه والمرأة وزوجها والاخ واخيه على ما تقتضيه مصلحتهم ولم تكن قلوبهم الجلمودية لترق لعويل اولئك المنكودي الحظ ولا لتوسلاتهم فكل عبد بيع امسى متاع سيده يتصرف به كيف شاء.

ولا يسعني هنا الا اسداء الشكر الجزيل للعزة الالهية القابضة على قلوب البشر فانها لم تسمح بان افترق عن امي بل قيضت لي ان اكون معها واحد ابناء عمي فاننا بعد ان قضينا شهراً كاملاً نعاني به مشقات السفر وصلنا الى العبيد وهناك تشتت شمل ارفاقي وبقيت انا وامي وابن عمي مقيدين بخدمة من كان قد اسرنا. وقد قضيت عنده ستين تكبدت في اثنائها من المشاق المتنوعة ما لا يحيط بوصفه قلم فعهد اليّ في السنة الاولى برعاية مواشي مولاي العديدة ولم يكن لي من القوت ما اترمق به فاضطررت غير مرة الى السرقة لاسدّ ما بي من الجوع فتولتني الاحزان والاشجان ليلاً ونهاراً وكنت كلما قابلت حالتي تلك بالتي تقدمتها في الكوخ الوالدي يعتريني غمّ شديد تخور منه قواي واكاد اسقط على الارض مغمياً عليّ

وعند ختام العام استدعاني مولاي الى المدينة لاتعلم الخياطة الا ان العناية الربانية التي كانت تمهد السبيل لنجاتي من الاسر واكتحال عيني بنور الايمان المقدّس دبرت اعادتي الى الحقل بالكيفية الآتي شرحها:

حدث انهُ عند استدعائي الى المدينة عنّ لحاكم الكردفان ان يدعو قومهُ لحملة على قبيلة الدنكا بغية ان ياتوهُ بعدد من العبيد ليبيعهم ويحسن بثمنهم احوال ماليته وكان لمولاي الجمّال عبدالله شهرة بعيدة في الغزو ولديه عبيد كثيرون يسهل عليه استخدامهم في قضاء حاجاته فعهد اليه الحاكم امر الحملة فتأهب لها عبد الله وزحف برجاله مستصحباً والدتي لتعد لهُ الطعام وقد سرّت والدتي بصحبته لأملها بان تجتمع باخواتي

اما انا فقد صدر لي الامر بان اعود الى رعاية المواشي فعملت لكنني ما لبثت ان تحققت ان سفر والدتي ومولاي فتح لي باباً جديداً للعذاب والتعاسة والشقاء فان مولاي كان يشملني ببعض الرعاية مراعاة لخاطر امي ولم يدر قط بخلدي قبل سفره ان معاملته تلك كانت توغر عليّ صدور سائر العبيد حتى وامرأته نفسها فاغتنمت هي والعبيد فرصة غياب مولاي واخذت تسومني من العذاب والتنكيل والحسف ما سئمت معهُ

الحياة لكنني فقهت بعد ذلك ان العناية الالهية كانت تعدّني بهذه الشرور الى الحصول على اعظم منحة يمنحها الله لمخلوق في هذه الفانية

وكان ان ذهب زعيم الصيد ذات يوم الى السوق يبتاع اغناماً ولدى رجوعه عند المساء استدعاني اليه واوسعني سباً وشتماً واهانة ثم اراني مجلدة وتهدّدني بتعطيمها عليّ عند اوّل ذنب او مخالفة اقترفتها فلم اعبأ بكلامه وحسبتُ من باب التهويل الفارغ. غير اني اخطأت ظنّا وما عتّمت ان وقعت بين يديه وذلك انهُ دعاني يوماً لاحضر لهُ من كوخه زجاجة عطريّة فانكسرت الزجاجة وكان ذلك داعياً لاحتدامه غيظاً عليّ فاخذ المجلدة وظلّ يجلدني الى ان تناثر لحمي وعيي من التعب ووقعت مغشياً عليّ فساءت هذه المعاملة الوحشية جميع الصيد ارفاقي وحملوني الى عبدة ضمدت جراحاتي ثم في اليوم الثاني ارسلوني مع بعض التجار الى بيت مولاي

وكنت في مدّة اسري اسمع القوم يتحدثون عن مسيحي البُيد وينسبون الى الرهبان والراهبات منهم امورًا غريبة فكانوا يعنونهم بالكفر ويقولون انهم يشترون العدد العديد من العبيد ليعتذوا بلحمانهم. وما كنت ادري نصيب هذه الاقاويل من الصحة لكنني كنت اقول لعلّهُ خير لي ان أستسلم لهؤلاء القوم المسيحيين فيأكلوني من ان اتحمّل هذه العذابات المبرّحة. وهكذا كانت العناية الصمدانية ذات الاحكام العجيبة الخفية تهيئني وتمهد لي سبيل الدخول عند المرسلين وبواسطتهم الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية التي كانت مزمعة ان تحوّل احزاني الماضية الى افراح صافية

وفي تلك الاثناء خبرت امرأة مولاي بقرب وصول زوجها فارسلت عبدة تطلب مني مفتاح غرفته لتعد لهُ وليمة فسلمت العبدة المفتاح وعند المساء طلبتُ ثانية بالمفتاح فاجبت باني كنت قد سلمتهُ للعبدة ولدى سؤال هذه اجابت بانها اعادته لي على الاثر. فاستشاطت مولاتي غيظاً وأمرت للحال بان أُرسل الى احد انسبائها لأجلد فراعني هذا الامر جدًّا واستطير لهُ لبي خصوصاً وان جراحاتي لم تكن قد اندملت تمام الاندمال فاسرعت فاقد الرشد الى الدار حيث كان بعض الاجانب وتوسّلت اليهم خاشعاً باكياً ان يرثوا لحالي ويتشفعوا بي لدى مولاتي لئلا أُجلد فلم يجسروا على ذلك فتولاني اليأس ولم يخطر ببالي ان استجير بالله وادعوهُ الى نصرتي لاني لم اكن اعرفهُ غير انه هو كان قد رمقني بعين رحمته وقرّر نجاتي من حيث لا ادري

فبينما كنت افكر في وسيلة تمكنني من الهرب والاختفاء قبل وصول مولاي خطر لي ان اختبئ في مضيق بين جدار البيت والجدار الخارجي واتسلق الحائط والوذ بالفرار ولم يكن الامر بسهل غير ان خوف العجلة اولاني جرأة واقدامًا لم اعهدهما بي من قبل فتمكنت بعد شق النفس من تسلق الحائط ثم رميت بنفسي من اعلاه غير مبالٍ بالخطر واخذت اعدو . لكنه لم يكن غير القليل حتى خارت قواي وامتنعت عليَّ مواصلة السير الى الامام

وبينما الافكار المتنوعة تتنازعني اذا بصوت داخلي يقول لي: « ارأف بنفسك يا ولدي والتجئ الى المسيحيين فتجد السلام والراحة » وكنتُ كأني بصوت آخر يقاطع الاول ويقول لي: « انجُ بنفسك وابتعد عن هذا المكان واقصد ماجأً يكون خيرًا لك من الالتجاء الى المسيحيين » . فلبثت نحوًا من نصف ساعة حائرًا في امري ولا ادري الى اي الصوتين اصغي واخيرًا عوَّلت على الالتجاء الى المسيحيين مؤثرًا موتي عندهم على بقائي في العذاب عند مولاي . وما كدت انهض لاتوجه نحوهم حتى سادت الطمأنينة عليَّ وانقشعت عني غيوم الغموم التي كانت تتولاني فعدت على الاعقاب مسرعًا الى منزل المرسلين وقرعت الباب وطلبت مقابلة الرئيس فجاءني السيد كومبوني السيد الذكر وقال لي باللغة العربية: — من انت ؟

— انا عبد

— وعبد من ؟

— عبد جمال

— اين يسكن مولاك

— يسكن بعيدًا من هنا

— ومن جاء بك اليَّ

— الله

والحق يقال اني كلما افتكرت بجوابي هذا الاخير اخذ بي العجب مأخذه لاني لم اكن اعرف من الله سوى الاسم ولم اكن اتصوره كالواجب الوجود والمتناهي الكمال والغير المحدود ومبدع الكائنات ولا خُيِّل لي قط ان المسيحيين هم عبَّاده الحقيقون

ولما سمع السيد كومبوني جوابي الذي لم يكن ينتظره من عبد مثلي تبسَّم ثم صرَّح

لي بانهُ يقبلني عنده وشدّ ما كان سروري عندما ارتديت بلباس الايتام وزادني غبطة يقيني بالنجاة من الاسر لان مهابة السيد كومبوني كانت قد أثّرت فيَّ كل التأثير وحملتني على الاعتقاد بانهُ ذو مزّة وسطوة لا تضام. اما خوفي من المسيحيين فانهُ تلاشى حالًا ولم يبقَ لهُ اثر واخذت اشعر بسعادة لا ادري مصدرها

اما ما كان من امر مولاي عبد الله فانهُ رجع من غزوتهِ في مساء اليوم الذي فرّت فيهِ بالفرار ولما خُبّر بواقع الحال بث الارصاد في اثري واخذت العبيد تفتش وتحفي في السؤال عنّا فعثر عليَّ فذهبت مساعيها ادراج الرياح. وبعد مضي اسبوع على ذلك اتفق لعبدة تعرفني ان رأتني العب في حديقة المرسلين مع ارفاقي فاسرعت واخبرت مولاي بموضع اقامتي فجاء يطلبني لكنهُ رجع بخفي حنين اذ اجابهُ السيد كومبوني بقوله: « نحن لا نزعم احدًا على المكوث عندنا لكننا نعنى بامر من يلتجئ الينا طالما هو عندنا . ومتى شاء مغادرتنا تركناهُ وشأنهُ »

إلا ان مولاي لم ييأس من استرجاعي فعاد ثانيًا وثالثًا وحاول ان يتغلبني بالمال فرأى من شرف المسيحيين وعزة نفوسهم ما لا يتصورهُ من لم يكن على دينهم واخيرًا جاء بامي آملًا ان الشواعر البنوية تسل فيَّ وتحناني على ان الحق بها. فلم ينجح ولولا النعمة الالهية التي اقفلت باب قلبي دون العواطف البشرية لما وسعني إلا اجابة ملتمس امي لكني كنت اشعر بقوة نفس غريبة وأجبت امي على كل مواعيدها وتعليقاتها بانني لتمنى لو انضمت اليَّ هي واخواتي. فغضبت حينئذٍ غضبًا شديدًا واقسمت انها لن تراني ابدًا فاحدث كلامها تأثيرًا عظيمًا في فؤادي وجرحهُ جرحًا بليغًا ولم يعزّني الّا اعتقادي بانني كنت محقًا في اصراري وبانني لو أذعنت لاقوال امي لجلبت على نفسي الدمار

وقد كان لسلوكي هذا تأثير عظيم في نفس السيد كومبوني الذي تحقق مذ ذاك ثباتي فقرّر تعليمي عقائد الديانة المسيحية ومنحني سري العماد والتثبيت القدسين وفي عيد القلب الالهي منحني هو نفسه السرين ودعاني باسمه دانيال دلالةً على اصطفائه الابوي نحوي

واختم هذه السطور طالبًا ممّن يقرأها الصلاة لاجل ارتداد امي وسائر ذويَّ عسى

الله ان يلهمهم جميعاً اعتناق الديانة المسيحية ليتسنى لي الاجتماع بهم في الملكوت السماوي حيث السعادة والتلاق بدون فراق

واسأل القارئ ايضاً ان لا يضن بصلاة لاجل توفيق المرسلين الذين يتفانون في بلاد العبيد لنشر الديانة المسيحية »

هذا ما كتبهُ رجل الله عن حياته قبل اكتحال عينيه بنور الايمان الطاهر . وهاك ملخص ما جرى لهُ من ذلك الحين الى زمن رقادهِ بالرب :

تقدمنا وقلنا ان السيد كومبوني كان يطلق آمالاً كبيرة على مستقبل دانيال ولهذا ما مضت ايام قليلة على اقتباله سرّ العماد المقدس حتى سعى في ارساله الى اوربة ليتلقى في مدارسها العلوم الاكليريكية . فوصل دانيال الى ڤيرونه في ٢٥ ايار سنة ١٨٧٦ وفي السنة التالية جاء رومية ونال شرف المثول امام قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس التاسع الذي امر بادخاله في مصاف تلامذة البروپغندة . فانكب دانيال على الدرس ونجح نجاحاً باهراً قضى باعجاب الجميع ولمّا كان آخر سنة ١٨٨٣ جرت مناظرة في بعض الامور الفلسفية حضرها كثير من السادة الاحبار في رومية فبرهن دانيال في اثناء المناظرة عن دقة نظر استغربها الحاضرون في عبد افريقي كل الاستغراب

وفي تلك السنة عينها اعترى دانيال مرض اضطره الى مغادرة رومية والسفر الى مدرسة بيروت الاكليريكية ليدرس فيها العلوم اللاهوتية ثم استدعاه رؤساؤه الى القاهرة سنة ١٨٨٦ وفي السنة التالية رقاه الى الدرجة الكهنوتية المقدسة السيد سوغارو النائب الرسولي لذلك العهد على افريقية الوسطى . وبعد ذلك بقليل توجه بناء على اوامر الرؤساء الى سواكن لمساعدة المرسلين هناك وكان ان تُرك وحدهُ بعد حين في تلك المدينة وجاء المهديين فحاصروها فابدى الاب دانيال في تلك الاونة الخطرة من الشجاعة والغيرة الرسولية ما اطلق جميع الالسن بالثناء عليهِ وعلى بسالتهِ وتفانيه فلم تكن نيران العدو ورصاص بنادقه ليقعدهُ او يصدهُ عن الذهاب الى المسيحيين المرضين للموت ومساعدتهم فكان اذا دعاه الواجب لبى الدعوة حالاً غير مكترث بالخطر مهما كان جسيماً

ولمّا كانت سنة ١٨٨٩ سافر الاب جيير الى اوربة ليدعو ذوي الاريحيّة والسخاء لمد يد المساعدة الى رسالة افريقية الوسطى واستصحب معهُ الاب دانيال لهذا الغرض

فنجح نجاحاً كبيرًا في مسعاه لان صورة الاب دانيال وتواضعه وتقواه وحركاته وسكناته كل ذلك اثر اشد التأثير في نفوس المحسنين فجادوا عليه بالمبالغ الوافرة

وبعد ان قضى سنتين في هذه الرحلة رجع من اوربة وأرسل الى حلوان قريباً من القاهرة حيث قضى ما تبقى من حياته متفانياً في سبيل خير القريب وقد قال عنهُ من عرفهُ هناك انهُ كان رسول الله محبوبًا من الجميع خصوصاً من الفقراء والمرضى الذين لم يكن ليبخل عليهم بشيء.. وما لبث ان فاح عبير تقواه في حلوان فجذب اليهِ كل القلوب وكان من ورعه واخباته في تقدمة الذبيحة الالهية ما حبَّب الى الناس حضورها

لكن حلوان لسوء الحظ لم تتمتَّع طويلًا بنعمة امثلته الخلاصية وغيرته الرسولية ففي شهر ت ١ سنة ١٨٩٩ شعر بالم في الحلق لم يعبأ بهِ في بادئ الامر غير ان الرؤساء اوجسوا خيفة على حياته فارسلوه الى الجزيرة حيث تحسنت صحته اولًا بعض التحسين لكنها ما عتَّمت ان اعتلت واشتدت وطأة العلة وبلغت حدًّا قطع معهُ كل رجاء

وكان الاب دانيال يتمثل اوجاعه بصبر عجيب مسلماً امره الى العناية الربانية ومردداً هذه العبارة: لتكن مشيئتك يا الله. ولم يكن لينقطع عن تقدمة الذبيحة الالهية كل يوم رغماً عن وهن قواه الزائد. واتفق ان رئيسه لامه بسبب ضعفه على تقديم الذبيحة الالهية في رأس السنة فاجابه متبسماً: نعم قدمت الذبيحة الالهية لكن من كل سنة ١٩٠٠ وقد صدق في كلامه هذا لانهُ وقد بالرب في ١١ ك ٢ بعد ان طلب الاسرار المقدسة وتزوَّدها فجرى لهُ مأتم حافل في كنيسة الآباء المرسلين وذهب مبكيًا عليهِ من البيض والسود

مطبوعات شرقية جديدة

Dr MAX FREIHERR von Oppenheim, *Der Tell Halaf u. die verschleierte Gottin*; mit 1 Kartenskizze u. 15 Abbild. Leipzig. J. C. Hinrichs 1908.

حفريات تل خلف

تل خلف محل قديم على نهر خابور في بلاد ما بين النهرين غير بعيد عن مدينة « الدار » قد بحث في آثاره القديمة حضرة الاستاذ العلّامة فون اوبنهيم واجرى حفريات اتت بنتائج مهمّة. وقد طالعنا كتيبهُ بزيد التأثير لما تكبده حضرته من المشاق ليلوغ ارب بكنّ مسماه كُلّل بالنجاح فاكتشف آثارًا فخيمة لقصر بناه الحثيّون. على ان هذه الواجهات الجامعة بين الفخامة والغرابة وهذه التماثيل العظيمة (خاصة رسم الاقمة المتبرقعة) المنقورة في الصخر الاصم لمما ياخذ الناظر بالدهش ويذكره بالآثار الحثية المكتشفة في زنجيرلي وبوغـاز كوي ومرارًا بقصر سرغون. وقد وجد الحافرون كتابات مسمرية قراءها الاستاذ ديليتش وورد فيها مرتين « قصر خابار بن حنيان » منها ينتج ان القصر يرتقي عهده الى الدولة التي تملكت على تلك الامصار في القرن العاشر قبل المسيح. فنثني على ذكاء العالم المكتشف وجدّه ونرجوهُ نجاحًا في سائر ابحاثه العلمية ل. ر

LES VERSIONS ARABES DE LA LITURGIE DE S. JEAN CHRYSOSTOME, suivies d'une ancienne version inédite, par le P. C. Bacha.

بحث في الترجمات العربية للتورجية القديس يوحنا فم الذهب يليه نسخة قديمة نشرها حضرة الاب قسطنطين باشا. رومية: صفحاته ٧١

وصف المشرق (١١: ٨٧١ و ١٢: ٣٨٧) مجموعة الابحاث المتعلقة بسيرة واعمال الذهبي الفم التي نشرها العلماء المتضلعون في رومية للاحتفال بالمائة الخامسة عشرة لوفاته وهي والحق يقال من اكمل واصدق ما كُتب عن هذا القديس العظيم لما فيها من المقالات الخطيرة والابحاث الدقيقة. وقد خص المشرق بالثناء حضرة الاب قسطنطين باشا لغيرته على الآثار التاريخية منها نشره هذه النسخة القديمة للتورجيّة الحنارية. وقد اراد حضرته طبعها على حدة لجزيل فائدتها ونقلها الى اللغة الافرنسيّة فنجدد الثناء على

حضرته راجين ان يتحفنا بكثير من الآثار القديمة التي جمعها منذ سنين عن احوال طائفته ورجالها واعمالها. ا.ر

Die Rhythmen der altsemitischen Predigt, par R. Geyer. Meinnon, T. III, pp. 77-80. 1900.

الايقاع في الخطب السامية القديمة

لخّص المؤلف في مقالته بكلام جمع بين البراعة والذوق مبدأ الدكتور ه. مولر في الايقاع والادوار فان حضرة استاذ فيننه الشهير لا يزال منذ سنة ١٨٩٦ يعيد النظر في ذات الدرس فينقحه ويكمّله عساه يثبته بالبراهين. وقد اتخذ امثالاً للمواعظ الموقعة في انبياء اسرائيل وفي القرآن منها ما اورده المسيو غيير وشرحهُ شرحاً تمماً من عاموس ١: ٢ — ٢: ٢ وانجيل يوحنا ٥: ١٩—٢٩ والقرآن. على اننا اذا سلمنا بوجود الايقاع في هذه المقاطيع لا بد لنا من الملاحظة ان في خطبة عاموس ادواراً صريحة ولا تجد ما يعادلها في ما جاء مختاراً من القرآن ومن انجيل يوحنا فانك تجد في هذين المثلين الاخيرين نثراً مسجعاً لا شعراً. ولا نشك في ان الدكتور مولر يبتهج جذلاً اذ يرى في المسيو غيير محامياً ذكياً بارعاً عن مبدإٍ طالما اجتهد في اثباته

الاب بولس جوّون

Les Missions Catholiques et les langues indigènes, par le P. Paul Peeters s. j. Louvain 1905. pp. 43.

الرسالات الكاثوليكيّة واللغات الوطنية

هي مقالة لحضرة الاب بولس بيترس اليسوعي الذي يعرف قرّاء المشرق اتساع معارفهِ اتار يخية الشرقية. عدّد فيها المؤلف العلامة ما للرسالات الكاثوليكيّة من الايادي البيضاء على اللغات الوطنية في كل مكان لحفظها وترقيها وترتيب قواعدها وضبط مفرداتها وتسهيل درسها على الاجانب واثبت كلامهُ بشهادات العلماء المستشرقين وذكر شيئاً مما ألّفهُ المرسلون في اللغات الوطنيّة. فاول من درس اللغة الصينيّة درساً علمياً الاب متى ريتشي اليسوعي واول اجرومية صينية ألّفها الدومنيكاني فرنسيس فارو. واول كتاب موسع في الصرف والنحو الصيني كتبهُ الاب دي بريمار اليسوعي وعنهُ لخص ابيل ريميزا كتابه. واول معجم ياباني الفهُ وطبعهُ المرسلون اليسوعيون في اول مطبعة

يابانية انشأوها سنة ١٥٩٥. واول اجرومية يابانية كتبها الاب يوحنا رودريكوس اليسوعي. واول معجم واجرومية انّامية هي للاب اسكندر دي رود اليسوعي الخ. وقل ذلك من اللغات الماندشية والبرمانيّة والتيبيتية والتاموليّة والسنسكريّة وغيرها فقد سعى المرسلون الكاثوليكيون من كل الملل والجمعيات في تهذيب قواعدها وحل مشاكلها وتعريف ادابها وعنهم اخذ المستشرقون. لكن الفضل للمتقدّم. ويمنّ لنا ونحن نكتب هذه الاسطر ان نزيدعلى قائمة حضرته كتاباً جمة نكتفي بذكر اول تعليم مسيحي طبع باللغة العربية في مدينة رومية الفهُ الاب يوحنا اليافو المرسل اليسوعي لفائدة الموارنة في اواخر القرن السادس عشر وطبعهُ في المطبعة التي انشاها الاباء اليسوعيين في مدرستهم الرومانية لفائدة الطوائف الشرقية - وسنعود ان شاء الله الى هذا الموضوع - وقد اثنى حضرة الكاتب على مطبوعات المرسلين في بيروت فنثنينا كلامهُ بالشكر وكررنا الثناء على اعمالهِ في جانب الدروس الشرقية ا. ر

OBRAZEY SOWREMENNOJ ARABSKOJ PISMENNOSTY. YZDAL Y SLOWAREM SNABDIL A. Khachab.

منتخبات خطيّة لدرس اللغة العربية الكتابيّة

طبعها ومثّق شروحها الادب انطون افندي خشّاب مدرّس اللغة العربية الحديثة في الكلية الامبراطوريّة في طرسبورج سنة ١٩٠٨. صفحاته ١٢ + ١١٨

للمستشرقين الروسيين شغف في اللغة العربيّة وآدابها لاسيما من عهد المرحوم البارون روزن الذي اثبتت مجلّة المشرق ترجمته بقلم احد تلامذته وطنينا انطون افندي عبدالله خشّاب الطرابلسي مدرّس اللغة العربيّة في كليّة بطرسبورج حالاً. والآن نرفّ الى قرّائنا كتاباً جديداً نشرهُ حضرة الخواجا خشّاب لنفعة طلّاب اللغة العربيّة وهو يحتوي على منتخبات خطية مختارة: ١ً من الاوراق الرسميّة كرسائل القناصل الى متوظفي الدولة ومنهم الى القناصل والمطارنة والبطاركة ٢ً من المعاريض والمكاتبات التجاريّة وغيرها من الصكوك والقراطيس ٣ً من مكاتيب وتلغرافات تجاريّة وشخصيّة. وهذا الاختيار ينبئ عن ذوق ومعرفة وسيكون خليّ الفائدة لطلّاب اللغة العربية الراغبين الانخراط في سلك ماموري القنصليّات او النظارة الخارجيّة. وقد الحق المؤلف مجانيه بقاموس عربي وروسي وذيّله بفهرست اسماء الاشخاص والاماكن وهو ممّا يُسهّل مطالعة هذه المنتخبات

تسهيلاً مُهمًّا. وفي مقدمة الكتاب بحثٌ لحضرة المؤلف في العربيَّة الحديثة والكلمات الدخيلة وهو يذكر بالثناء بعض مطبوعات المطبعة الكاثوليكية فشكرنا له تلطفهُ

ومما يزيد الكتاب قدرًا نقلهُ لبعض النصوص التاريخيَّة المهمَّة نكتفي بالاشارة الى اعداد ٣٨ او ١٦ و ٥٦ أو ٥٠ و ٥١ و٥٢ فيها تفاصيل عن تاريخ النصارى في سورية. والكتابات منقولة بالفوتوغرافيَّة في كمال الاتقان والبهاء. فنشكر لحضرة الكاتب هديته ونثني على معارفه ونرجو لكتابه بين الروسيين رواجاً هو اهل به. ونهنئ قسم اللغات الشرقيَّة في كليَّة بطرسبورج الذي طُبع الكتاب على نفقته فانها خدمة تذكر فتشكر ا. كرتشقوفسكي

SURVEY OF RECENT PUBLICATIONS OF ASSYRIOLOGY by Hope W. Hogg. Edinburg. Schulze 1908, pp. 48.

نظرة في المطبوعات الاشوريَّة الحديثة

مقالة عدد فيها كاتبها ما نُشر بالطبع من الكتب والمقالات اللاحقة بالعاديات الاشورية كالحفريات والآثار والكتابات وغيرها وهي مكتوبة باللغة الانكليزيَّة وفيها من الملاحظات ما يروق مطالعتهُ في اعين محبي التاريخ القديم ا. ر

تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطوريَّة

وقف على طبعه وعلَّق حواشيه الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب (بيروت المطبعة الكاثوليكيَّة ١٩٠٩ مع ترجمته الى اللغة الافرنسية)

هو اثر مفيد نقل عن نسختين احداهما وُجدت في احدى كنائس الموارنة بالشام والثانية وجدها حضرة الاب لويس شيخو في مكتبة اسقفيَّة ماردين الكلدانية فتبرع بها على حضرة ناشر الاثر والكتيب لا يتجاوز في النص العربي ٢٦ صفحة ضمَّنه مؤلفهُ المجهول احوال الكنيسة النسطوريَّة في الاجيال المتوسطة فذكر اسقفياتها في بلاد مصر وافريقية واليمن والحجاز وقبرس وسوريَّة وفلسطين واسيا الصغرى وكردستان وما بين النهرين والعجم وبلاد التتر والهند وملبار والصين وعدَّد الكراسي والكنائس واحصى مرارًا عدد السكان من الكلدان الى غير ذلك من الفوائد. لكن الكاتب — وقد صرَّح بذلك حضرة الناشر الحبَّي في مقدمته — ليس من المدققين في ايراد العصور

والسنين فهو يذكر على نمط واحد ما جاء في القرن الثاني عشر وفي القرن السابع عشر بحيث يصعب مراراً استخلاص فائدة تاريخية ثابتة. واننا مع ذلك نرتئي رأي حضرة الخوري بطرس عزيز في اهمية الاثر لاسيما اذا أكمل بالنسخة التي وجدها حضرته بعد نشر هذا التقويم وقال عنها انها اوسع فائدة بالمعلومات التاريخية . وقد نُقل الكرّاس الى اللغة الافرنسية وعُلّقت عليه الحواشي الجزيلة الفائدة. فنثني على همة حضرة الناشر الفاضل ونتمنى لو سعى الكثيرون من اولاد الوطن العزيز فنقبوا في الزوايا وافادوا الشرقيين والمستشرقين بنشر آثار مجهولة صادقة تكشف القناع عن احوال البلاد فيخدمونها خدمة جليلة ا.ر

كتاب دروس الحياة الانسانية في مدرسة الله النباتيّة

المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٠٩ وهو ١٥٢ صفحة

السموات والارض وما فيهما ينطق بمجد الله ويحدث عن اعمال يديه فاذا امعن الانسان فيها النظر درس درساً سامياً يرفع قلبه الى الاعالي ويهديه سبل الحياة. هذا ما سعى بالاعراب عنهُ حضرة الكاتب الاديب امين افندي ظاهر خير الله جامعاً بين كلام الله في اسفاره وكلام الجوامد والنباتات في اسرارها على سبيل التفكهة والتعليم تارة بالنثر وطوراً بالشعر بعبارة صحيحة فصيحة يفهمها الساذج ولا يبذها العالم واننا مع حضرته نسأل الله ان يكثر من امثال الام التي وصفها بين النساء السوريات فتعرف الام شرف وظيفتها وسموها اذا ما هذبت اولادها التهذيب الصادق فرفعت بقلوبهم من المنظورات الى ما فوق المنظورات . هناك « سعادة العيال وارتقاء الشعب بعبادته وعلمه وتدينه وادابه واعماله الماشية » واننا نثني اطيب الثناء على الكتاب ونتمنى بين المطبوعات الحديثة كثيراً من امثاله ا.ر

المستشرق ميخائيل اماري

نبذة عربية وايطالية للاب جبرائيل ماريا الكبوشي الحلبي

استاذ اللغة العربية في بالرمو سنة ١٩٠٩ صفحاتها ٣٠

لا يهمنا في ميخائيل اماري الرجل السياسي ولا نعرف ما سوف يدون لهُ ولاصدقائهِ التاريخ من الثناء او القدح في الثورة الصقلية والايطالية لكن للمستشرق

فضلًا لا ينكر فقد شغف بتاريخ وطنه صقلية فاكبَّ لذلك على درس العربية ونشر المؤلفات التي تكشف القناع عن احوال الجزيرة في القرون الوسطى كترجمة وصف ابن حوقل لبالرمو ورحلة ابن جُبير لصقلية وتاريخ الاسلام في صقلية وهي خدم جليلة تبقي لهُ ذكرًا في تاريخ الاداب العربية. وقد توفي اماري في ١٦ تموز ١٨٨٩. وهذه النبذة كتبها حضرة الاب جبرائيل ماريا بمناسبة العيد القرني لمولد المستشرق الشهير احتفل بهِ مواطنوهُ الصقليون فشاركهم صاحب النبذة الافراح واستحق شكرهم ونحن نمدح المستشرق ونثني على المترجم الذي لا يزال منذ سنوات يقوم بوظيفة التدريس احسن قيام في المدرسة الجامعة للرسالات الايطالية الخارجية في بالرمو كما يشهد بذلك الفرامطيق العربي الذي الّفه باللغة الايطالية وطبعهُ في مطبعتنا منذ خمس سنوات لفائدة تلاميذهِ ا.ر

كتاب اللاهوت النظري

حضرة الخوري الياس الجميل: الجزء الاوّل في الوحي الالهي
(بيروت ١٩٠٩ صفحة ١٥٠)

أمل المؤلف الغيور «ان يلاقي عمله قبولًا واقبالًا عند نصراء الدين ويكون عائدًا لمجدهِ تعالى وخير النفوس» ونحن نضمن لهُ هذا الامل لان عملهُ خير العمل. وقد طالعنا كتابه فالفيناه وافيًا بالمراد يلخص بعبارة قريبة الفهم اهم المسائل النظريّة التي يجدر بكل مسيحي اديب ان يتعلمها ليعرف الاساس المتين الذي بُني عليهِ دينه القويم فيثبت في معتقده ويدافع عنهُ تجاه الكفرة. وما قولنا عن كاهن الله؟ فقد سبق النبي ملاخي (٢: ٧) واوصانا قائلًا «ان شفتي الكاهن تحفظان العلم ومن فيهِ يطلبون الشريعة اذ هو ملاك رب الجنود» فقد اقامه الخالق معلمًا ليتلمذ الشعب ويثقفه ويشوره ويرشده الى سبل الخلاص. ولا يقوم نائب المسيح بهذه الوظيفة الثقيلة الّا اذا جمع بين القداسة والعلم ليعمل ويعلّم على مثال سيده. واذا كانت معرفة العلم الالهي اي اللاهوت ضروريّة في كل آن وزمان ففي ايامنا وبلادنا قد اصبحت الآن من باب الامور التي لا يُستغنى عنها ولا يُتاض وقد أكد قدسة الحبر الاعظم بيوس العاشر ان اصل الشرور والفتور في ايامنا هو جهل الحقائق الدينيّة. لذا نرى رؤساء الطوائف

يسعون سعياً محمودًا لترقي المعارف الدينية بين الطغمة الاكليريكيـة لا في المدن الكبرى فقط لكن حتى في القرى البعيدة ايضاً لان الخطر يتهدد هذه وتلك معاً والعلم ضروري للرعاة في كلا المكانين. ولما كان الكثيرون يجهلون اللغة اللاتينيـة فلا يستطيعون درس الامور اللاهوتية حق الدرس كانت الكتب العربيـة القريبة المنال والصادقة التلخيص من الخدم الجليلة التي تثني عليها اطيب الثنـاء. ونحرض على مطالعتها

وموضوع هذا الجزء اهم المسائل العصريَّة كالوحي والاعجوبة والانجيل معروضة ومشروحة على النسق المعروف بالمدرسي وهو النسق الافضل. على اننا بعد ما ابدينا من الثناء على تلميذنا القديم الملفان وعمله نأسف لسوء منظر الكتاب وحقـارة ورقه وكثرة اغلاطه الطبعية آملين ان يقبل عليه القرَّاء فيجدد المؤلف طبعهُ ويزيد عليه بعض الفوائد وينشره نشرًا يليق به

ا.ر

نعمة القراءة

والخط والحساب

لمؤلفه المرحوم رشيد الشرتوني

طُبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ٩٨)

هذا الجزء الثاني من تأليف صغير وضعهُ الاستاذ المرحوم رشيد الشرتوني واتمَّ تأخر طبعهُ الى ان تمَّ صورهُ. وما يمتاز به هذا الكتاب انهُ وُضع على طريقـة مستحدثة لاستعمال المدارس الابتدائيَّة فيجمع مبادئ القراءة والخط والحساب معاً على التدريج. ومن خواصه ايضاً ما يتضمَّنهُ من دروس الاشياء مع الصور المثلة للموصوفات ودروس أخر ادبيَّة واجتماعيَّة من شأنها ان تزرع في قلوب الصغـار اطايب الشيم ومكارم الاخلاق هـذا فضلاً عن حسن طبع الكتاب واتقان كل مادياته التي ترغب في مطالعته

ل.ش

شذرات

سعي في مخابرة المريخ المريخ سيارة معروفة وصفها المشرق (٤: ١٧٣) في معرض بحثه عن امكان سكناها وعدمه. وقد جاءتنا المجلات العلمية تنبئ عن سعي العالم الاميريكاني داود تود في مخابرة سكان المريخ — ان كان هناك سكان — فاردنا تلخيص الاخبار لفائدة القرّاء

في ٢٣ ايلول ١٩٠٩ تقترب سيارة المريخ من ارضنا بحيث تكون المسافة بين الكرتين ٥٨,٣٩٠,٠٠٠ كيلومترًا ولكن ما هي مسافة ٥٨ مليون كيلومتر؟ من المعوّل عليه ان قطر الارض ١٢,٧٤٢ كيلومترًا وعليه يكون البعد بيننا وبين المريخ ٤٥٨٢ مرة قطر الارض فاذا القينا بقوّة المخيّلة جسرًا عظيمًا اسندناهُ على الكرتين ومشى عليه قطار يقطع مائة كيلومتر بالساعة يقضي في طريقه ٥٨٣,٩٠٠ ساعة او ٢٤,٣٢٩ يومًا او ٦٨ سنة واربعة اشهر تقريبًا قبل وصوله محطة المريخ. لكن ذلك قليل في عالم الافلاك. ولما كانت السيارة جارتنا لا تعود تزورنا مقتربة هذا القرب الّا بعد ثمانية وعشرين شهرًا فقد اعدّ العلماء في المراصد اعظم مكبّراتهم لينظروا الى وجهها نظرة المشتاق فيتأملوا تقاطيعهُ وملامحه ويحفظوا رسمها بما لديهم من الالات الحديثة

أوَهل يستطيعون الى ذلك سبيلًا؟ جوابنا ان قطر المريخ سيتراءى للارض في التاريخ المذكور بمعدل ٧٨ مرة اصغر من قطر القمر فمن لديه نظارة تكبّر المنظورات بالعين ٧٨ مرّة يشاهد المريخ في حجم القمر وان كبّرت ٧٨٠ مرّة المنظورات شاهد المريخ بحجم يزيد على القمر عشر مرّات

هذه الظروف تظهر للعلماء الاميريكيين موافقة لسعي جديد في مخابرة اخواننا الناطقين في السيارة فقد عقد الاستاذ داود تود (Todd) النية على ان يراسلهم بواسطة الاهتزازات الهرتزية وهي التي يمكن ارسالها في الفضاء ومنها يتركب التلغراف اللاسلكي (مشرق ١٩٠٤: ٣١١ و ١٩٠٨: ٢٤٥) ولذا سيرتفع في منطاد الى علو ٨٠٠٠ متر مع ما يحتاج اليهِ من الالات ليبعث اليهم بالعلامات ويتقبل ما يردهُ عنهم

فاذا فاز بالنجاح انشأ على اعالي جبل سيمبرازو مرصداً خاصاً بالمراسلات بين الكرات السيارة. اما الاستاذ الاميركاني بيكرينغ (Bickering) فتفضّل استعمال العلامات النوريّة المنعكسة على مرايا مظيمة ولكن الاستاذ لاركين انكر هذا الرأي الاخير على بيكرينغ لعدم فائدته واثبت بالحساب ان هذا النور المنعكس لا يُشاهد وذلك لظهور الارض متشمشمة الانوار في ٢٣ ايلول لاعين المريخ

ومهما كان من الامر فان سكنى المريخ لا يزال في عالم الخيلات المحضة لا يمكن الحكم فيه لا سلباً ولا ايجاباً كما لا يحكم في عداد النجوم الثلاثة في افقنا أهي خساً او ذكا (فرداً او زوجاً) ولله اعلم

﴿ سقي النباتات ﴾ كلُّ بستانيّ يتمتع عن السقي عندما تلقي الشمس اشعتها على النباتات ساعات الظهيرة لكن السبب العلميّ لم يذكرهُ الّا القليلون وهو موضوع مقالة عرضها الاستاذ مونتز (Muntz) على المحفل العلمي في باريس ملخصها انهُ اذا ما تأثّلت الاراضي اليابسة ابرزت من جرّاء ذلك حرارة تعادل ٢٠ او ٣٠ اقيسة من الحرارة (calorie) في كل كيلوغرام. وسبب هذا الاسخان هو المناسبة العظيمة — كما يقول الكيماويون — بين الماء وبين الصلصال او التراب الصالح للنبات. وهذا ما يحدث بنوع جليّ في اطفاء الكلس. ومن ثم تتأذى النباتات الضئيلة اذا ما انهطل عليها المطر بغتةً عقيب ساعات احتها فيها الشمس باشعتها فقد ترتفع عندئذٍ حرارة التراب الى ٤٠ او ٥٠ درجة. هذا ما يحدث في السقي ساعات الحرارة فتذبل العروق الدقيقة ولا تشم ان تحترق كانها انزلت في ماء حار

﴿ قطرة القلم ﴾ هي قصيدة تلاها في منتدى جمعيّة النهضة الادبيّة في بيروت جناب الاستاذ الياس افندي قنوا ظاهر فارسلها الى ادارة المشرق افتتحها بقولهِ :

حيِّ الجنودَ منابتَ الشجعانِ القائمين بنهضةِ العمرانِ
وادعُ الشبيبةَ ان تهبَّ وقُلْ لها آنَ الاوانُ لتنهضي بأمانِ

وختمها بهذه التحيّة :

مني على جيش السلام تحيّةٌ الداحرين جحافل الطغيانِ
وعلى فتاةِ الترك والقوم الأُلى عرفوا الحياةَ وقيمة الوجدانِ

﴿ اثر عربي ﴾ على واجهة جامع دير القمر كتابتان يرتقى تاريخهما

الى القرن التاسع للهجرة جاء فيهما ذكر احد الامراء المعنيين الذي حفظ التاريخ وصف اعماله الخطيرة وقد احببنا نقلهما بالفوتوغرافية ونشر رسمهما خشية ان تاخذهما يد الضياع. اما الاثران فهذه صورتهما مع قراءتهما:

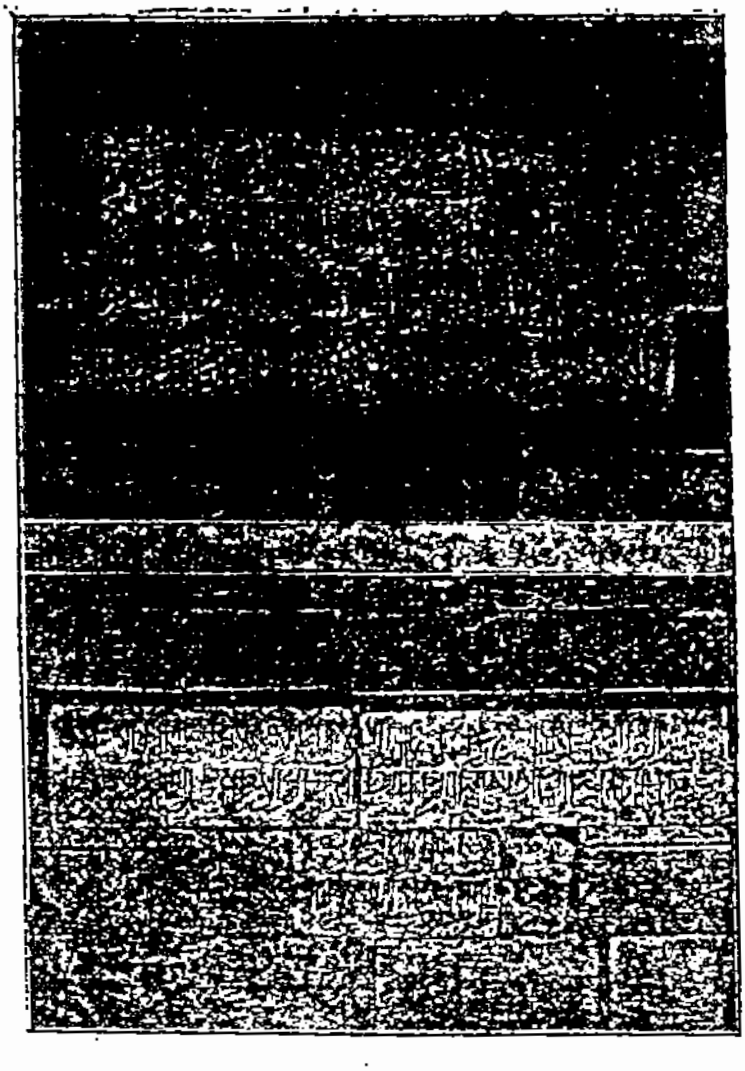

١

بسم الله الرحمن الرحيم. في بيوت أذن الله ان تُرفع ويُذكر فيها اسمهُ يسبح لهُ فيها بالغدو والاصال. رجال لا تُلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقامة الصلوة وايتاء الذكوة يخافون يوماً تتقلب فيهِ القلوب

والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضلهِ والله يرزق من يشاء بغير حساب

٢

بسم الله الرحمن الرحيم . في بيوت أذن الله ان تُرفع ويُذكر فيها اسمهُ يُسبِّح لهُ فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يخافون يوماً تتقلب فيهِ القلوب والابصار

عمّر هذا المكان المبارك ابتغاء لوجه الله العظيم ورجاء ثوابهِ العميم العبد الفقير الى عفو ربّهِ القدير المقرّ الفخري الامير فخر الدين عثمان ابن الحاج يونس ابن ممن خفر الله له

وكتب في ٥ من شهر الله المحرم الحرام من شهور سنة تسعة وتسعين وثمان مائة للهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام

فالفقرة الاولى في كلتا الكتابتين أُخذت من سورة النور وابطل منها الكاتب في الرسم الثاني اربع كلمات في الوسط ولم ينجز نصها . ذلك ولا شك لانهُ اكتفى بسطر واحد لم يتجاوزهُ

اما الامير فخر الدين عثمان فقد وصفهُ الشيخ طنوس الشدياق في اخبار الاعيان في جبل لبنان (صفحة ٢٥) قال: هو اشهر الامراء المعنيين بهِ غابت شمس الامارة التنوخية واشرقت شمس الامارة المعنية . تحالف مع الامير منصور الشهابي بحلفٍ انهما يكونان هما وعيلتهما حالاً واحداً . . . ولما قدم السلطان سليم دمشق دخل اليهِ الامير فخر الدين عثمان ودعا لهُ وكان فصيحاً . فخلع عليهِ السلطان وفوض اليهِ كل امور الشام وجعلهُ مقدماً على الجميع . ومات الامير فخر الدين عثمان سنة ١٥٤٤ مسيحية وقام بعدهُ ابنهُ الامير قرقماس

﴿ دفاتر خطّ نجيب بك الحواريني ﴾ طبعت مطبعتنا الكاثوليكية منذ عهد قريب لجناب الخطّاط نجيب بك الحواريني دفاتر ضمّنها نصوصاً خطيّة متقنة فقال الشاعر المطبوع خليل افندي مطران يمدح صاحبها:

علّمتني الخطّ فما راعني ... في سوى ذاك النجاح السريع
كاشفتني من فنٍّ موجزاً ... بذلك السرّ اللطيف البديع
كم زنتَ قرطاساً بآياتٍ ... بين شتيتٍ بامرٍ او جميع
فشانني منهنّ ما شانني ... في روضةٍ من زهرات الربيع
صوغٌ ورسمٌ ونقوشٌ الى ... ما لا يُباهى من ضروب البديع

﴿ اصلاح خطأ ﴾ في كلامنا سابقاً (ص ٧١٩) عن مقالة نُشرت في المقتبس تحت عنوان « ضرّاء العلماء » نسبنا المقالة لجناب منشئ المجلّة محمد افندي

كرد علي . والصواب انها بقلم محرّر آخر للمجلة المذكورة وهو الافندي الاديب صلاح الدين القاسمي فاقتضى التنبيه

الخوري الياس الموصلي والمقتطف عُرض من لندن على مجلة المقتطف وصف رحلة الخوري الياس الموصلي الى لميركة وجدها سلامه افندي موسى في مكتبة نظارة الهند . فاجاب المقتطف مستطلعاً طلع اخبار هذه الرحّالة . ولو ألقى صاحب المقتطف بنظره الى مجلة المشرق في سنتها الثامنة والتاسعة لقرأ الكتاب برمّته نشرهُ بالطبع لاوّل مرّة نقلًا عن نسخة محفوظة في مكتبة مطرانية السريان في حلب وعلّق حواشيه وزاد عليهِ معلومات وافادات (المشرق ٩ : ١٥ و ٧٣ و ١٧٠) الاب اطون رباط اليسوعي . وقد طبع الكتاب على حدة وهو يطلب من المطبعة الكاثوليكية في بيروت

رزق الله حسون والمقتطف وُسئل المقتطف عن رزق الله حسون وترجمته فتنع . ولو طالع المقتطف العدد الثالث والرابع من المشرق (السنة الجارية) لقرأ في كتاب الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر الذي ينشرهُ تباعاً الاب لويس شيخو ترجمة حسون وذكر تآليفه ا . ر

رسالة الحبر الاعظم الى جلالة السلطان كان جلالة السلطان محمد الخامس قد انفذ وفداً خاصاً خارق العادة الى قداسة لبنا الحبر الاعظم البابا بيوس العاشر لتبليغهِ رسمياً خبر جلوسهِ على عرش آل عثمان فبعث الحبر الاعظم الى جلالتهِ برسالة هذا تعريبها :

من بيوس العاشر الى صاحب العظمة والشوكة السلطان محمّد الخامس سلام ومغبطة

يا ذا الجلالة

قد سر قلبنا واغتبط لدليل الانعطاف الممتاز الذي شاءت عظمتكم ان تعرب لنا عنهُ بانفاذها وفداً خارق العادة يحمل الينا تحاريركم ويبلغنا رسمياً خبر ارتقائكم الى العرش . فتلطاف جلالتكم هذا ودليل اعتبارها لنا اثّرا فينا تأثيراً شديداً ونحن نشكر لكم ذلك جزيل الشكر . ومما زاد في سرورنا وابتهاجنا بدليل ولائكم لنا ذكرى وفد اخر كوفدكم انفذهُ احد سلفائكم العظام الى البابا بيوس التاسع المطوب الذكر

ويسرنا ان نجاهر ثانية بما تولانا من المسرة والحبور والتعزية اذ سمعنا سفير جلالتكم

يثني بحضرتنا ثناء عاطراً على امانة واخلاص رعايا عظمتكم الكاثوليك

فنسأل الله ان يعيد بايام جلالتكم بالعز والنبطة والهنا خير رعاياكم

أعطي في رومية بقرب التديس بطرس في ١١ تموز سنة ١٩٠٩ وهي السنة السادسة لحبريتنا البابا

بيوس العاشر

مؤتمران كاثوليكيان في ٣٠ آب الماضي عقد الكاثوليك الالمان على مألوف عادتهم مؤتمرهم العام السادس والخمسين في مدينة برسلو عاصمة بروسية الشرقية. وفي اليوم السابق لافتتاح المؤتمر اصطف ٢٦ الفاً من اعضاء شركات العمال الكاثوليك ومروا بنظام وترتيب امام نيافة الكردينال كوب امير برسلو واسقفها... وقد تناولت ابحاث المؤتمر اموراً عديدة هامت منها مسألة الصحافة فنهض المسيو ويت من اعضاء محكمة كولونية الاستئنافية واثنى ثناء عطراً على الصحافة الكاثوليكية الالمانية وبين ما لها من الخدم الجليلة في جنب الكثلكة وبعد هذا تطرق الى ذكر واجبات الكاثوليك نحو الصحافة والحّ برجوب مساعدتها لانها اصبحت في الوقت الحاضر من اقوى وسائل الدفاع

وخلاصة القول ان هذا المؤتمر كان كالمؤتمرات التي تقدّمتهُ ذا تاثير عظيم في النفوس حتى وفي نفوس البروتستان فقد قال احد معلمي اللاهوت البروتستاني: «ان الكاثوليك يصرحون ويجاهرون في مؤتمراتهم بتعلقهم المتين المرى بالكنيسة وباخلاصهم ومحبتهم للوطن والبلاد واماناتهم الصادقة للحكومة الملكية ويبرهنون على ذلك برهاناً واضحاً بكل ما يقولونهُ ويفعلونهُ في المؤتمر بنوع ان الحاضر لا يمكنهُ ان يفتكر باحدى السلطتين دون الاخرى»

وعقد كاثوليك سويسرة ايضاً مؤتمرهم الثالث في زوغ فافتتحهُ المسيو ده مونستاخ الرئيس الثاني للجامعة الكاثوليكية السويسرية بخطاب شائق نقتطف منهُ الكلام الآتي:

« ان مؤتمرات الكاثوليك السويسريين اصبحت نقطة مركزية حية ومحركاً ومنظماً للمشروعات الكاثوليكية باسرها فهي تولي النفوس التفاني والحماس. وما من احد ينكر تاثيرها العظيم في كل المشروعات وكل الشركات والجمعيات والمراكز المجاهدة وكل الذين يحضرون هذه المؤتمرات ويشتركون في ابحاثها يخرجون منها راضين

القدم في معتقدهم متباهين في ايمانهم وناقمين ما توجبه عليهم الوطنية والديانة المسيحية. وما من قرية او مزرعة من قرانا ومزارعنا مهما كانت بعيدة الا وفيها الناس مطلعون حق الاطلاع على ضروريات الوقت الحاضر ومعتقدون غيرة رسولية ومستخدمون نفوذهم في دائرتهم ».

(عن البشير)

أسئلة واجوبة

س ايجوز للكاهن ان يمنع المؤمنين من المناولة المتواترة واليومية اذا وجدت فيهم الشروط المذكورة في الحكم البابوي المؤرخ في ٢٠ كانون الاول ١٩٠٥

المناولة المتواترة اليومية

ج اصدر الكرسي الرسولي حكماً جديداً جاء فيه: ١ً لا يوجد مسوغ البتة يبيح للمعرّف او الخوري ان يمنع من المناولة من كان بحالة النعمة وذا نية صالحة. ومن فعل اخطأ — ٢ً على الخوارنة والمعرفين والواعظين ان يبذلوا الجهد في تحريض المؤمنين على المناولة المتواترة حتى واليومية ومن منهم تهاون بهذا الواجب اخطأ

كتب الينا احد الاساتذة الافاضل: تضاربت الاراء بين عدد من اصدقائي الارثوذكسيين وبيني في قانونية الاسفار الالهية التي يذكرها البروتستنت. ذهب بعضهم انها كتب الهية قبلتها ولا تزال الكنيسة الشرقية تقبلها اسفاراً الهية قانونية بتمامها. وبعضهم انكر هذا القول مستنداً على المقالة التي نُشرت في مجلة النعمة الارثوذكسية ولمّح اليها المشرق ومدعياً ان قولها هو الفصل وصاحب البيت ادرى بما فيه وان الكنيسة الشرقية الارثوذكسية ما زالت متمسكة بقول واحد وهو نكران قانونية هذه الاسفار خلافاً للكنيسة اللاتينية. فما رأيكم ؟

قانونية الاسفار المقدسة

الجواب: ان الكنيسة الرومية الارثوذكسية تؤمن بقانونية الاسفار الالهية المسماة الاسفار الثانية التي انكرها كاتب المقالة في المجلة « التي تصدرها البطريركية الانطاكية الارثوذكسية ». ذلك مما لا ريب فيه كما يظهر جلياً اذا ما طالعنا اقوال الكنيسة الارثوذكسية وكتبها المتازين. ولا نظن انها اليوم تطرح عقيدة من عقائد الدين المسيحي قد طالما دافعت عنها احسن دفاع. ولقد عجبنا واسفنا لقراءة المقالة التي ذكرتموها واعددنا لدحضها بحثاً تاريخياً مدققاً. فوعدنا العدد القادم من المشرق ان شاء الله

١٠ر